

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

الجاهلية والصحوة

إعـداد
أ.د/ محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف
ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

(سورة هود : ٨٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــــــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

وبعـد:

فإن معركتنا مع الإرهاب والتطرف الفكري لم تنته بعد ، حيث صار استخدام الجماعات المتطرفة أحد أهم أدوات حروب الجيل الرابع ، ولا سيما المسلحة منها التي تتخذ من استحلال الدماء والأموال منهجًا أيديولوجيًّا وواقعيًّا تتقوت منه أو عليـه .

وفي سبيل تحقيق أهدافها وأهداف من يدعمها ويمولها عمدت الجماعات المتطرفة إلى المغالطة وليّ أعناق النصوص

تارةً ، واجتزائها من سياقها تارةً ، وتحريف الكلم عن مواضعه تارةً أخرى .

وقد لعبت جماعات التطرف الديني على عواطف الشباب من خلال مصطلحات زائفة ، ظاهرها فيه شحذ الهمم وباطنها من قبله الفساد والإفساد والضلال والبهتان ، ومن الألفاظ التي حمَّلها المتطرفون ما لا تحتمل "الجاهلية" و"الصحوة".

أما لفظ الجاهلية فقد حاولت الجماعات المتطرفة إطلاقه على بعض مجتمعاتنا المؤمنة المعاصرة ظلمًا وزورًا ، وهو أمر مردود عليه شكلًا ومضمونًا ، أما من حيث الشكل أو من حيث اللغة، فالجاهلية التي أُطْلقت على الفترة التي سبقت ظهور الإسلام ليست من الجهل ضد العلم ، ولم يقل أحد إنها من الجهل نقيض الإيمان أو الإسلام ؛ إنما هي من الجهل نقيض الحلم .

وأما من حيث المضمون ، فمن يقول - مثلًا - عن مصر الأزهر ، مصر المساجد والمآذن ، مصر القرآن ، مصر العلم والعلماء ، مصر التي يدرس بأزهرها الشريف نحو مليوني طالب وطالبة ، ويستضيف عشرات الآلاف من الطلاب الوافدين من مختلف دول العالم لدراسة صحيح الدين ، بلد يطوف علماؤه وأئمته مختلف دول العالم لنشر صحيح الدين ، بلد يحتضن القرآن الكريم وأهله ويكرم حفظته ، إنه مجتمع جاهلي ، فلا يمكن أن يقول ذلك إلا حاقد ، أو حاسد ، أو جاحد ، أو مأجور أو مُسْتغل من أعداء الدين والوطن .

وكذلك الحال مع سائر دولنا العربية والإسلامية التي حاول المتطرفون أن يتخذوا من وصفها بالجاهلية وسيلة لإفشالها أو إسقاطها أو هدمها أو تمزيقها .

وأما لفظ (الصحوة) فقد برز كمصطلح تنظيري لجماعة الإخوان الإرهابية ومن سار في ركابها من الجماعات المتطرفة .

والصحوة في منظورهم هي صحوتهم هم ، لكن ضد من ؟ ضد أوطانهم !! قصد إضعافها وتمزيقها وتفكيك بِناها الوطنية ، لأن هذه الجماعات لا يمكن أن يكون لها وجود ولا أن تحقق أغراضها وأغراض من يمولها ويستخدمها في ظل دولة قوية صلبة متماسكة، فهي لا تقوم إلا على أنقاض الدول ، ومصلحة الجماعة عندهم فوق مصلحة الدولة ، ومصلحة التنظيم فوق مصلحة الأمة ، وفوق الدنيا وما فيها ، سلاحهم الكذب ، وبث الشائعات ، والزور والبهتان ، وغايتهم الهدم والتخريب، فهم لا يحسنون سوى الهدم ، أما البناء والعمران فهيهات هيهات ، فضلا عن أنهم لا يؤمنون بوطن ولا بدولة وطنية .

ناهيك عن دعواتهم المتكررة إلى العنف ، واستحلال الدماء ، واستباحة الأموال والأعراض ، ودعوتهم إلى هدم الأوطان ، يخادعون العامة بمعسول القول ورقيق الكلام ، مردوا على

نفاق المجتمع ، واعتبروا ذلك تقية واجبة ولازمًا من لوازم المرحلة ، مما يستوجب منا مزيدًا من الفطنة والحذر ، حيث يقول الحق سبحانه : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ".

الصحوة الحقيقية هي صحوة الأوطان والأمم ، عندما نعمرها بالبناء والتعمير ، ونرى أمتنا في مصاف الدول المتقدمة في مختلف المجالات والعلوم والفنون .

فمقياس الصحوة الحقيقي هو في مدى تقدم الدول علميًّا واقتصاديًّا ، وامتلاكها أدوات العصر ، وإسهامها في إنجازاته . فلن يحترم الناس ديننا ما لم نتفوق في أمور دنيانا، فإن تفوقنا في أمور دنيانا احترم الناس ديننا ودنيانا .

الصحوة الحقيقية أيضًا هي صحوة الضمير ، والقيم والأخلاق، عندما نُعمر الدنيا بالتسامح ، والتراحم، والتكافل، والصدق ، والأمانة ، والوفاء ، ومكارم الأخلاق ، وترجمة أخلاق الإسلام وقيمه وتعاليمه السمحة إلى واقع ملموس في دنيا الناس ، في سلوكنا وسائر شئون حياتنا ، فالأمم التي لا تبنى على القيم والأخلاق تحمل عوامل سقوطها في أصل بنائها وأساس قيامها .

الصحوة الحقيقية هي قوة انتماء الإنسان لوطنه ، وحرصه على أمنه واستقراره ، فالوطن عِرض وشرف ، وهو أحد الكليات الست التي حرص الشرع الحنيف على إحاطتها بسياجات متعددة من الحفظ والرعاية .

كما أن العمل على تقوية شوكة الدولة الوطنية مطلب شرعي ووطني ، فكل ما يؤدي إلى ذلك هو من صحيح معتقدنا ، وكل ما يؤدي إلى الهدم والتخريب وتقويض بنيان الدول أو

تعطيل مسيرتها ، أو تدمير بِناها التحتية ، أو ترويع الآمنين بها ، لا علاقة له بالأديان ، ولا بالقيم، ولا بالوطنية ، ولا بالإنسانية.

مع تأكيدنا أن الدين الحقيقي النقي لا يحيا في الهواء الطلق ، إذ لا بد له من دولة قوية تحمله وتحميه ، ذلك أن المشـردين لا يقيمون دينًا ولا دولة .

الدين والدولة لا يتناقضان أبدًا ، الدين والدولة يتعاضدان في سبيل سعادة البشرية ، فحيث تكون مصالح البلاد والعباد والأوطان المعتبرة فثمة شرع الله .

الدين والدولة يرسخان معا أسس المواطنة المتكافئة في الحقوق والواجبات ، وأن نعمل معًا لخير بلادنا وخير الناس أجمعين ، أن نحب الخير لغيرنا كما نحبه لأنفسنا ، الأديان رحمة ، الأديان سماحة ، الأديان إنسانية ، الأديان عطاء.

الدين والدولة يتطلبان منا جميعًا التكافل المجتمعي ، وأن لا يكون بيننا جائع ولا محروم ولا عارٍ ولا مشـرد ولا محتـاج ولا

مكروب إلا سعينا في قضاء حاجته وتفريج كربه.

الدين والدولة يدفعان إلى العمل والإنتاج ، والتميز والإتقان ، ويطاردان البطالة والكسل ، والإرهاب والإهمال ، والفساد والإفساد ، والتدمير والتخريب ، وإثارة القلاقل والفتن ، والعَمالة والخيانة.

وإن من يتوهمون صراعًا – لا يجب أن يكون – بين الدين والدولة ويرونه صراعًا محتمًا إما أنهم لا يفهمون الأديان فهمًا صحيحًا ، أو لا يعون مفهوم الدولة وعيًا تامًا ، أو لا يعون طبيعة العلاقة بينهما ، فالخلل لا علاقة له بالدين الصحيح ولا بالدولة الرشيدة ، إنما ينشأ الخلل من سوء الفهم لطبيعة الدين أو لطبيعة الدولة أو لطبيعة العلاقة بينهما .

غير أننا نؤكد على ضرورة احترام دستور الدولة وقوانينها، وإعلاء دولة القانون ، وألا تنشأ في الدول سلطات موازية لسلطة الدولة أيا كان مصدر هذه السلطات ، فهو لواء واحد

تنضوي تحته وفي ظله كل الألوية الأخرى ، وهو لواء الدولة الوطنية ، أما أن تحمل كل مؤسسة أو جماعة أو جهة لواء موازيًا للواء الدولة فهذا خطر داهم لا يستقيم معه أمر الدين ولا أمر الدولة.

وختامًا أؤكد أن كل التنظيمات المتطرفة ولا سيما المتدثرة منها بغطاء الدين هي خطر داهم على الدين والدولة ، وأن الصحوة الحقيقية تتطلب منا التفرقة بوضوح بين الثابت والمتغير، والنظر بعين الاعتبار في مستجدات العصر ومتطلباته، ومراعاة ما يقتضيه فقه الواقع ، وفقه الأولويات ، وفقه المتاح ، في ضوء الحفاظ على ثوابت الشرع الحنيف .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

أ.د/ محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

الجاهلية والصحوة

إن من أهم المفاهيم التي يجب أن تصحح مفهوم الجاهلية ومفهوم الصحوة ، حيث اتخذت الجماعات المتطرفة من المغالطات وتزييف الوعي وتحميل بعض الألفاظ والمصطلحات دلالات أيديولوجية خاصة بها ، وألحت على ذلك إلحاحًا مقيتًا ، وعملت بكل ما تملك من إمكانات على تسويق هذه المفاهيم المغلوطة للألفاظ والمصطلحات ، حتى اكتسب بعضها مع الوقت عند العامة تلك المعاني التي أرادت الجماعات المتطرفة تحميلها إياها .

أما مصطلح الجاهلية فقد حاولت الجماعات المتطرفة إطلاقه على بعض مجتمعاتنا المؤمنة المعاصرة ظلمًا وزورًا ، سواء من جهة الشكل أم من جهة المضمون ؛ أما من حيث الشكل أو من حيث اللغة ، فالجاهلية التي أُطْلقت على الفترة التي سبقت ظهور الإسلام ، فهي ليست من الجهل ضد العلم ، ولم يقل

أحد إنها من الجهل نقيض الإيمـان ؛ إنما هي من الجهـل نقيض الحلم لا العلم .

ولما قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) لسيدنا أبي ذر (رضي الله عنه) : "إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ ، جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فمَن كانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ، فَلْيُطْعِمْهُ ممَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ ممَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ ، فإنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فأعِينُوهُمْ عليه"[1]، كان ذلك عندما عيَّر سيدنا أبو ذر (رضي الله عنه) سيدنا بلالًا بقوله : يا ابن السوداء ، وكان مقصد سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله : "إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ" أي: إنك امْرُؤٌ فيك بقايا عصبية جاهلية ،

---

١ – متفق عليه: صحيح البخاري ، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَاب: المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلَا يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشِّرْكِ ، حديث رقم: ٣٠ . وصحيح مسلم ، كتاب الْأَيْمَانِ ، بَابُ إِطْعَامِ الْمَمْلُوكِ مِمَّا يَأْكُلُ، وَإِلْبَاسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مَا يَغْلِبُهُ ، حديث رقم: ١٦٦١ .

وشيء من تسرعها في الاعتداء على الآخرين والنيل من الآخر دون حق.

وأما من حيث المضمون ، فمن يقول – مثلًا – عن مصر الأزهر ، مصر المساجد والمآذن ، مصر القرآن ، مصر العلم والعلماء ، مصر التي يدرس بأزهرها الشريف نحو مليوني طالب وطالبة ، ويستضيف عشرات الآلاف من الطلاب الوافدين من مختلف دول العالم لدراسة صحيح الدين ، بلد يطوف علماؤه وأئمته مختلف دول العالم لنشر صحيح الدين ، بلد يحتضـن القرآن الكريم وأهـله ويكرم حفظته ، إنه مجتمع جاهلي ، فلا يمكن أن يقول ذلك إلا حاقد أو حاسد أو جاحد، أو مأجور أو مستغل ، وعلى حد قول الإمام البوصيري[1]:

١- ديوان البوصيري لشرف الدين محمد بن سعيد بن حمّاد الجنوني الصنهاجي (المتوفى ـ ٦٩٦ هـ) ، ص: ٢٤٧، ط: الحلبي .

قد تنكرُ العينُ ضوء الشمسِ من رمدٍ

ويُنْكِرُ الفَمُّ طَعْمَ الماء منْ سَقَم

أما عن مصطلح الصحوة لدى الجماعات المتطرفة والمتشددة فيحصرونه في أمرين ، الأول : الشكل والمظهر مهما كان المضمون والجوهر ، والآخر: عدد أعضاء هذه التنظيمات . ونحن نرى أن الصحوة الحقيقية هي أن نملك أمرنا وكلمتنا ، وننتج غذاءنا ودواءنا وكساءنا وسلاحنا ، ونرفع مستوى بلدنا ومواطنينا علميًّا وثقافيًّا ومهنيًّا واقتصاديًّا ومعيشيًّا ، أن نملك جيشًا قويًّا وشرطة قويّة واقتصادًا قويًّا ، فجيش قوي واقتصاد قوي يعني بلدًا ذا مكانة ومواطنًا ذا كرامة .

مؤكدين أنه لن يحترم الناس ديننا ما لم نتفوق في أمور دنيانا ، فإن تفوقنا في أمور دنيانا احترم الناس ديننا ودنيانا .

❊ ❊ ❊

تزييف الحقائق

لقد دأبت الجماعات الإرهابية والمتطرفة ومن يدورون في فلكها على تحريف الدين ، وليّ أعناق النصوص ، ومحاولة طمس الحقائق ، وتزوير التاريخ ، ودفنهم ماضيهم الدموي الأسود ما وسعهم ذلك ، يتلونون كالحرباء ، ويُبَدِّلُون جلودهم كالثعابين ، غير أن أمرهم قد صار مكشوفًا وكذبهم بينًا مفضوحًا ،"ولا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين "[1].

إن أخطر منطقة ينبغي عدم العبث بها أو المساس بقيمها هي منطقة الدين ، فإن المتاجرة بالدين لحصد مكاسب دنيوية تكون وبالًا على أصحابها في الدنيا والآخرة ؛ لأن من يفعل ذلك

١- متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ ، حديث رقم: ٦١٣٣. وصحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، بَابُ لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ ، حديث رقم : ٢٩٩٨.

يدخل في حرب مع الله تعالى ، وهي حرب معلومة النتائج مدمرة لمن يلقي بنفسه في أتونها ، حيث يقول الحق سبحانه: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}[1].

إن تحريف الجماعات المتطرفة لبعض النصوص باجتزائها واقتطاعها من سياقها بما ينحرف بها عن غاياتها الشرعية واعتبار ذلك تَقِيّة ، مع احتراف الافتراء المتعمد على الأشخاص والهيئات والمؤسسات ، جريمة كبرى في حق الدين والإنسانية ؛ فالغاية عند هذه الجماعات تبرر الوسيلة – أي وسيلة كانت – فلا تحرّج لديهم من استخدام الوسائل مهما كانت مخالفتها للشريعة طالما أنها من الممكن أن تكون خطوة في سبيل تحقيق أغراضهم الدنيوية والسلطوية.

١- الأنبياء : ١٨.

أما بث الشائعات وترويجها فهو الشغل الشاغل لكتائبهم الإلكترونية وأبواقهم الإعلامية المأجورة ، ولو أن شباب هذه الجماعات المخدوع المغيّب تأمل - ولو للحظة واحدة واعية - أين ما يفعلونه من كتاب ربنا (عز وجل) وسنة نبينا (صلى الله عليه وسلم)؟ لربما راجع كثير منهم نفسه ، واكتشف حقيقة هذه الجماعات الإرهابية الضالة !.

ألم يعلموا أن كل المسلم على المسلم حرام ، ماله وعرضه ودمه ، وأن الإسلام حثنا على التَّبَين من الأقوال ؟!، فقال الحق سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين}[1] .

كما حثنا الإسلام على التحلي بالصدق ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ

١- الحجرات : ٦.

يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا"[1]، فما بالكم بمن يتعمد الكذب والافتراء حتى يستحلهما ، وحتى يكونا له سجية وخليقة ثابتة أشبه بالطبع منها بالتطبع؟!

إن أعداء الإسلام لو بذلوا كل ما في وسعهم ومكنتهم لتشويه دين الله (عز وجل) ما بلغوا معشار ما فعلته هذه الجماعات الإرهابية الضالة المضلّة أو نصف هذا المعشار من تشويه لدين الله (عز وجل) وصدٍّ عن سبيله وإضرار بشريعته

١- متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) التوبة : ١١٩، حديث رقم : ٦٠٩٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ، حديث رقم: ٢٦٠٧ ، واللفظ للبخاري .

السمحة الغرّاء ، مما يتطلب من العلماء والمثقفين والغيورين على دينهم ووطنهم التكاتف والتعاضد لكشف حقيقة هذه الجماعات الإرهابية والمتطرفة ، وتفويت الفرصة على من يستخدمونها شوكة في ظهر أوطانها وحربة في قلب ديننا السمح .

* * *

التدين الشكلي والنفعي

كثير من الناس ينخدعون بالزينة والطلاء عن المعدن والجوهر ، وعلى الرغم من تأكيدنا أننا نحتاج إلى عظمة الشكل والمضمون معًا ؛ لأنهما كالروح والجسد الذي لا غنى لأحدهما عن الآخر ، ولا قيام له دونه ، فإن النظرة إليهما يجب أن تكون متوازنة ، وأن نعطي كلًّا منهما قيمته وقدره ونسبته دون شطط أو تجاوز أو إفراط أو تفريط ، فلا يأخذ الشكل أو المظهر أكثر مما يستحق ولا دون ما يستحق ، وكذلك الأمر بالنسبة للمبنى والمعنى.

لكن الحذر هو أن ننخدع بالمظهر وحده ، فقد يحمل الإنسان في يده سيفًا ويقلده من الذهب والفضة ونفائس العقيان[1] ما يظن

---

١ - العِقْيانِ ،َهُوَ الذَّهَبُ الخالص لَا غَيْرُ . لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ) جـ ٨ / ص ٢٩٥، ط : دار صادر، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

أنه رافع من قيمته وشأنه ، ويحيط نفسه بهالة من السيوف والدروع ، غير أنه إذا كان مع ذلك جبانًا أو خائر القوى فلن تغني عنه دروعه ولا سيوفه يوم الروع شيئًا ، ويظل البطل رابط الجأش قوي الشكيمة فوق كل جبان ، مهما تحصن الجبناء بظواهر الأشياء أو مظاهرها الخداعة.

إن التوازن مطلوب في كل شيء غير أن الجوهر يظل جوهرًا ، والمظهر يظل مظهرًا ، وما أجمل أن يجتمع للإنسان المظهر والجوهر معًا ، على حد قول الرافعي (رحمه الله) :" إن خير النساء من كانت على جمال وجهها ، في أخلاق كجمال وجهها ، وكان عقلها جمالًا ثالثًا"[1] .

ولا شك أن ظاهرة التدين الشكلي وظاهرة التدين النفعي تعدان من أخطر التحديات التي تواجه المجتمعات العربية

١- وحي القلم : لمصطفى صادق الرافعي ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، جـ١ / ص١٠٦ .

والإسلامية ، خاصة من هؤلاء الذين يركزون على الشكل والمظهر ولو كان على حساب اللباب والجوهر ، وإعطاء المظهر الشكلي الأولوية المطلقة ، حتى لو لم يكن صاحب هذا المظهر على المستوى الإنساني والأخلاقي الذي يجعل منه القدوة والمثل ؛ ذلك أن صاحب المظهر الشكلي الذي لا يكون سلوكه متسقًا مع تعاليم الإسلام يُعدّ أحد أهم معالم الهدم والتنفير ، فإذا كان المظهر مظهر المتدينين مع ما يصاحبه من سوء المعاملات ، أو الكذب ، أو الغدر ، أو الخيانة ، أو أكل أموال الناس بالباطل ، فإن الأمر هنا جد خطير ، بل إن صاحبه يصبح في عداد المنافقين ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ "[1].

١- صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، بَابُ عَلاَمَةِ الْمُنَافِقِ، حديث رقم: ٣٣ ، =

وكذلك من يحصر التدين في باب العبادات والاجتهاد فيها مع سوء الفهم للدين والإسراف في التكفير وحمل السلاح والخروج على الناس به ، كما حدث من الخوارج الذين كانوا من أكثر الناس صلاة وصيامًا وقيامًا غير أنهم لم يأخذوا أنفسهم بالعلم الشرعي الكافي الذي يحجزهم عن الولوغ في الدماء ، فخرجوا على الناس بسيوفهم ، ولو طلبوا العلم أولًا - كما قال الإمام الشافعي (رحمه الله)- لحجزهم عن ذلك ؛ فالإسلام دين رحمة قبل كل شيء ، وكل ما يبعدك عن الرحمة يبعدك عن الإسلام ، والعبرة بالسلوك السوي لا بمجرد القول، وقد قالوا : حال رجل في ألف رجل خير من كلام ألف رجل لرجل .

على أن العبادات كلها لا تؤتي ثمرتها إلا إذا هذَّبت سلوك وأخلاق صاحبها ، فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا

=وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق ، حديث رقم : ١٠٧ .

صلاة له ، يقول الحق (سبحانه وتعالى): {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}[1]، ومن لم ينهه صيامه عن قول الزور فلا صيام له ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"[2]، ولا يقبل الله – عز وجل – في الزكاة والصدقات إلا المال الطيب الطاهر ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):"إِنَّ الله طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا"[3]، ويقول (صلى الله عليه وسلم):" لاَ تُقْبَلُ صَلاَةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلاَ صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ"[4]، وقبول الحج مرهون بالنفقة الحلال

---

١ – العنكبوت : ٤٥ .

٢- صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ، حديث رقم : ١٩٠٣.

٣- صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ ، حديث رقم: ١٠١٥ .

٤ – صحيح مسلم، كتاب الطهارة ، باب وجوب الطهارة للصلاة ، حديث: ٢٢٤ .

وحسن السلوك ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ "[1]، وذكر (صلى الله عليه وسلم):" الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ "[2].

وأخطر من هذا التدين الشكلي التدين النفعي ؛ ونعني به هذا الصنف الذي يتخذ الدين وسيلة ومطية للوصول إلى السلطة من خلال استغلال العواطف الدينية وحب الناس – وبخاصة العامة – لدينهم وإيهامهم بأن هدفه من الوصول إلى السلطة إنما فقط

١– متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور، حديث رقم: ١٥٢١، وصحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ، حديث رقم: ١٣٥٠.

٢– صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، حديث رقم: ٢٣٩٣.

هو خدمة دين الله (عز وجل) والعمل على نصرته والتمكين له ، ومع أننا لا نحكم على النوايا ولا نتدخل في أمر النيات فهي ما بين العبد وخالقه ، وكل ونيته ، فإن التجربة التي عشناها والواقع الذي جربناه مع جماعة الإخوان الإرهابية ومن دار في فلكها أو تحالف معها من الجماعات المتطرفة أكد لنا أمرين ؛ الأمر الأول : أن القضية عندهم لم تكن قضية دين على الإطلاق إنما كانت قضية صراع على السلطة بشَرَهٍ ونَهَمٍ لم نعرف لهما مثيلًا ، وإقصاء للآخرين في عنجهية وصلف وغرور وتكبر واستعلاء ، مما نفَّر الناسَ منهم ومن سلوكهم الذي صار عبئًا كبيرًا على الدين ، وأصبحنا في حاجة إلى جهود كبيرة لمحو هذه الصورة السلبية التي ارتسمت في أذهان كثير من الناس رابطة بين سلوك هؤلاء الأدعياء وبين الدين .

الأمر الآخر: أنهم أساءوا لدينهم وشوهوا الوجه النقي لحضارته الراقية السمحة ، وأثبتوا أنهم لا أهل دين ولا أهل

كفاءة ، وإلا فهل من الدين أن يخون الإنسان وطنه وأن يكشف أسراره ويبيع وثائقه ؟! وهل من الدين التحريض على العنف والقتل والفساد والإفساد وتشكيل ما يسمى باللجان النوعية التي تعيث في الأرض فسادًا في عمالة وخيانة غير مسبوقة ، خيانة للوطن ، وعمالة لأعدائه ؟!

وقد أكدت – وما زلت أؤكد – على أن هذه الجماعة الإرهابية التي وظفت الدين لخداع الناس وتحقيق مآربها السلطوية هي على استعداد للتحالف حتى مع الشيطان لتحقيق أهدافها ومطامعها السلطوية على حساب دينها أو حساب وطنها أو حساب أمتها .

* * *

المصلحة بين منظور الدولة
ونفعية الجماعة

المصلحة في منظور الدولة هي المصلحة العامة المعتبرة ، التي تحقق صالح الوطن وصالح جميع أبنائه ، وليست المصلحة الخاصة التي تحقق صالح بعض الأفراد على حساب بعض ، أو على حساب بعض الجماعات أو الأحزاب ، أو حتى على حساب الوطن نفسه .

أما المصلحة في منظور الجماعة فهي المصلحة التي تحقق صالح الجماعة أو الحزب ، بل ربما بلغ الأمر الشطط فصارت المصلحة عندهم هي ما يحقق صالح قيادة الجماعات أو جماعات الحزب ، ولو على حساب باقي أفراد الجماعة أو جموع المنتسبين للحزب ، فقد تضحي الجماعة ببعض المنتسبين إليها أو المنتمين لها لصالح الجماعة ، ولا سيما أن هذه التضحيات لا يمكن أن تكون بالقيادات أو أبنائهم – إلا في ضوء التنازع والتناحر

وعمليات الإقصاء والإقصاء المضاد بين هذه القيادات في محاولة كل منها الاستئثار بالمغانم- إنما تكون التضحيات دائمًا بالصفوف المتأخرة في الجماعة.

وقد تضحي الجماعة بالمصلحة الوطنية العليا إذا تعارضت مع مصلحتها ، بل إن كثيرًا من الجماعات ترى أن كل ما يقوي الدولة ليس في صالح الجماعة ، وأنه لا مكان لأي جماعة في ظل دولة قوية متماسكة مترابطة ، ويجب في منظورهم العمل على إضعاف الدولة حتى يتم التمكين للجماعة .

وتحاول معظم الجماعات - ولا سيما الإرهابية والمتطرفة منها- ربط مصالح أعضائها وعناصرها والمنتمين لها بمصالح الجماعة - وبخاصة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية - بحيث يصبح الدفاع عن مصلحة الجماعة قضية مصيرية لكل أفرادها ، وأن حياة الفرد لا يمكن أن تستقيم خارج جماعته ، وأنه لو فكر مجرد تفكير في الخروج من الجماعة لتعرضت

جوانب حياته المتعددة للخلل أو الانهيار أو التدمير ، ما لم تكن حياته نفسها أيضًا مهددة !.

وفي سبيل الوصول إلى مآربهم يتذرعون بذرائع ، منها: أن بعض الحكام لا يحكمون بشرع الله ، علاوة على ذلك أنك عندما تناقش عناصر هذه الجماعات عن مفهوم شرع الله تجدهم خاوي الوِفاض[1]، وقد بينا ذلك واضحًا جليًّا في كتابي: "مفاهيم يجب أن تصحح " و " ضلالات الإرهابيين وتفنيدها" اللذين أصدرتهما وزارة الأوقاف المصرية بإشرافنا ومراجعتنا[2]، وأكدنا أن الالتزام بما أنزل الله (عز وجل) من

١- خاوي الوفاض: يعني لا يَمْلك شيئًا ، معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر ، ١/ ٦٩٣، ط : عالم الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٨ م.

٢- راجع كتاب "مفاهيم يجب أن تصحح" ، ص ٢٩ ، ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وما بعدها ، الطبعة التاسعة ، ٢٠١٩م ، وكتاب " ضلالات الإرهابيين وتفنيدها" ص٧- ٣٢ ، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٠١٧م.

شرع لا يمنع احتكام البشر إلى قوانين يضعونها في إطار مبادئ التشريع العامة وقواعده الكلية ، وفقًا لتغير الزمان والمكان ، ولا يكون الاحتكام لتلك التشريعات الوضعية مخالفًا لشرع الله (سبحانه وتعالى) ما دام أنه يحقق المصالح العامة للدول والشعوب والأفراد والمجتمعات ، ولا يحل حرامًا أو يحرم حلالًا أو يتناقض مع ثوابت الشرع أو ينال منها.

فالإسلام لم يضع قالبًا جامدًا صامتًا محددًا لنظام الحكم لا يمكن الخروج عنه وإنما وضع أسسًا ومعايير متى تحققت كان الحكم رشيدًا يقره الإسلام ، ومتى اختلت أصاب الحكم من الخلل والاضطراب بمقدار اختلالها ، ولعل العنوان الأهم والأبرز لنظام أي حكم رشيد هو مدى تحقيقه لمصالح البلاد والعباد ، وعلى أقل تقدير مدى عمله لذلك وسعيه إليه ، فأي حكم يسعى إلى تحقيق مصالح البلاد والعباد في ضوء معاني العدل والمساواة والحرية المنضبطة بعيدًا عن الفوضى

والمحسوبية وتقديم الولاء على الكفاءة ، فهو حكم رشيد معتبر، وتحت هذا العنوان الرئيس تتداعى تفاصيل كثيرة تهدف في مجملها إلى تحقيق العدل بكل ألوانه السياسية والاجتماعية والقضائية بين البشر جميعًا ، وعدم التمييز بين الناس على أساس اللون أو الجنس أو العرق .

فكل حكم يعمل على تحقيق ذلك ويسعى إلى توفير الحاجات الأساسية للمجتمع من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وبُنى تحتية من: صحة ، وتعليم ، وطرق ، ونحو ذلك مما لا تقوم حياة البلاد والعباد إلا به ، فإنه يعدّ حكمًا رشيدًا سديدًا موفقًا ، مرضيًّا عند الله تعالى وعند الناس إلا من حاقد أو حاسد أو مكابر أو معاند أو خائن أو عميل.

❊ ❊ ❊

المنافقـــون الجـــدد

النفاق داء مهلك للأفراد والأمم ، وهو أشد خطرًا من الكفر والشرك ، حيث يقول الحق سبحانه:{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِالله وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لله فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ الله الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا }[1].

وللنفاق علامات ، من أهمها: الكذب ، والخيانة ، والغدر ، وخلف الوعد ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "أَرْبَعٌ مَنْ كنَّ فِيهِ كَانَ مُنافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفاقِ حَتّى يَدَعَهَا: إِذا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذا عاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذا خَاصَمَ فَجَرَ"[2].

---

١ – النساء : ١٤٥، ١٤٦.

٢ – متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، بَابُ عَلاَمَةِ الْمُنَافِقِ ، حديث: ٣٤، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق ، حديث: ١٠٦.

ويبين لنا القرآن الكريم جانبًا من خصال وأحوال المنافقين في مواضع عديدة ، منها :

أنهم يكثرون عند الطمع ويقلون عند الفزع ، حيث يقول الحق سبحانه:{وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آَمِنُوا بِالله وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَعَ الْقَاعِدِينَ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ}[1]، ويقول (سبحانه وتعالى):{ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا}[2].

ومنها: أنهم يقيسون كل أمورهم بقدر ما يتحقق لهم من منافع ، حيث يقول الحق سبحانه: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ

١- التوبة : ٨٦، ٨٧.

٢- الأحزاب : ١٣.

يَسْخَطُونَ }[1] ، ويقول سبحانه : { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ الله عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}[2].

ومنها: الفساد والإفساد ، وكثرة الحلف الكاذب ، يقول سبحانه: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَالله لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ }[3].

ومنها: تأليب الرأي العام ، وبث الوهن في نفوس المؤمنين الصادقين ، حيث يقول الحق سبحانه: { وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ الله انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا

١- التوبة : ٥٨ .

٢- الحج : ١١ .

٣- البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥.

خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}[1].

ومنها: التحالف مع الأعداء والتواصل معهم على حساب الدين والوطن ، حيث يقول الحق سبحانه:{ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}[2].

ومع أن علامات النفاق التي سبق ذكرها إنما هي صفات المنافقين قديمًا وحديثًا ، فإن المنافقين الجدد قد ضموا إلى ذلك ضروبًا جديدة من الخداع ، من أبرزها: لبس مسوح الدين والمتاجرة به ، واستغلاله لتحقيق مصالح الجماعات التي تريد أن تتخذ من الدين مطية إلى السلطة ، متدثرة في ألوان شتى من

١- التوبة : ٤٦ ، ٤٧ .

٢- المائدة : ٥٢ .

التـديـن الشـكلي والتـديـن السيـاسي ، إضـافـة إلى ما يتسـم بـه المنافقون الجدد من خيانة الوطن وتحقيره وبيعه بثمن بخس. فالغاية لدى عناصر هذه الجماعة الإرهابية تبرر الوسيلة - أي وسيلة كانت - قتلًا أو تخريبًا ، أو تكفيرًا وتفجيرًا ، أو كذبًا وافتراء وبثًّا للشائعات ، فقد نشأوا على الكذب والتَّقِية ، وهم أشبه ما يكون بخفافيش الظلام التي لا يمكن أن تحيا في النور أبدًا.

وتحاول الجماعات الإرهابية زرع عيونها وجواسيسها في جميع مؤسسات الدولة ووحداتها الإدارية والمفصلية ، وفي جميع المصالح والقطاعات الحيوية ، مما يتطلب ويستدعي توخي الحذر والفرز الجيد لمن يتولون العمل القيادي بأيٍّ من مؤسسات الدولة ، وبخاصة المفاصل الحساسة بكل مؤسسة ، مع الضرب بيد من حديد - وبلا هوادة أو تردد - على يد كل من تثبت خيانته لوطنه أو لمؤسسته ، وعمالته لأي من الجماعات الإرهابية والجهات التي تمولها ، أو تدعمها ، أو تساندها ، أو

تستخدمها لخدمة مطامعها ومصالحها ، وأجنداتها في تدمير وطننا ، وتفريق كيان أمتنا ومنطقتنا ، وتحويلها إلى كيانات أو دويلات ضعيفة ممزقة لا تنفع صديقًا ، ولا تضر عدوًّا ، ولا تملك من أمر نفسها شيئًا ، فتصير عالة وتابعة وأداة طيِّعة في أيدي قوى الشر والظلام والضلال.

* * *

الأرض السبخة

الأرض السبخة هي تلك الأرض التي لا تنبت كلأ ولا تمسك زرعًا ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالعِلْمِ ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ ، أَمْسَكَتِ المَاءَ ، فَنَفَعَ الله بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ"[1]، فالذي لا ينفع الله تعالى به الناس هو كالأرض السبخة أو القيعان التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فخير الناس

---

١ - صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب فضل من عَلِم وعلَّم ، حديث رقم: ٧٩.

أنفعهم للناس ، وشرهم من تركه الناس واتقوه وتجنبوه اتقاء فحشه ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ أو ودعهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ"[1] ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ الله مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ الله مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ"[2]، والذي لا شك فيه أن فضاءات جميع الجماعات المتطرفة هي فضاءات سبخة لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً .

أما أهل الفضل والصفاء فهم من شرح الله سبحانه صدورهم للإسلام ، وملأها بحب الخير ، فاصطفاهم لقضاء

١- صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب، حديث رقم: ٦٠٥٤.

٢- سنن ابن ماجه ، كتاب الإيمان، باب من كان مفتاحًا للخير ، حديث رقم:٢٣٧.

حوائج الخلق ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" إِنَّ لله أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ العِبَادِ ، يُقِرُّهُمْ فِيهَا مَا يَبْذُلُونَهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إِلى غَيْرِهِمْ "[1].

ويقول (صلى الله عليه وسلم):"إِنَّ لله عَزَّ وَجَلَّ خَلْقًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ أُولَئِكَ الْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ الله"[2]، هؤلاء هم الأشجار المثمرة اليانعة النافعة ، غير أن هذا الإثمار قد يعرضهم لحسد الآخرين أو أحقادهم أو محاولة تعويقهم ، ممن قصرت هممهم ، وشغلوا بالصغائر عن العظائم ، وبهدم الآخرين عن بناء أنفسهم ، وقد قالوا : ولا يقذف بالأحجار إلا الشجرة المثمرة ، ولا يقذفها إلا الصبية ، أما الرجال فيستحون ، ولا يحوم اللص إلا حول البيوت العامرة ، فإن حام حول البيت الخرب كان سيد

١- المعجم الكبير للطبراني ، جـ ١٣ / ص ١٤ ، حديث رقم : ١٣٩٢٥ .

٢- المعجم الكبير للطبراني ، جـ ١٢/ ص ٣٥٨ ، حديث رقم : ١٣٣٣٤ .

البلهاء، غير أن رمي الصبية أو قذفهم لا يزيد الوطنيين المخلصين إلا صلابة ، فالضربة التي لا تقصم الظهر تقويه ، ولله در أبي حيان الأندلسي، حيث يقول[1]:

عـــــــــدَاي لهـــــم فضلٌ عليّ ومنةٌ

فلا أبعد الرحــمن عنّي الأعــاديـا

هـُـــمْ بَصَّرُوني عن زلتي فاجتنبتها

وهـم سابقوني فاكتسبت المعـــاليـــا

ويقول أبو الأسود الدؤلي[2]:

حَسَــدوا الفَتى إِذ لَم يَنـالــوا سَعيهُ

فَالقَـــــــــومُ أَعداءٌ لَهُ وَخُصـومُ

١- ديوان أبي حيان الأندلسي ، تحقيق: د/ أحمد مطلوب – خديجة الحديثي ، ص ٤١٥ ، ط مكتبة العاني ، بغداد ، ١٩٦٩م .

٢- ديوان أبي الأسود الدؤلي ، تحقيق : الشيخ محمد آل ياسين ، ص ١٢٩، ط: مكتبة النهضة ، بغداد .

كَضَـــــرائِرِ الحَسناءِ قُلنَ لِوَجهِها

حَســــدًا وَبَغيًـــا إِنَّــــهُ لَدَميمُ

فالعاقل من ينشغل بالبناء لا بالهدم ، ولا يقابل السيئة بالسيئة ، بل يعفو ويصفح ، ويدفع بالتي هي أحسن ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}[1] ، نسأل الله تعالى أن نكون منهم ، وأن نتحلى بأخلاقهم ، وأن نحشر في زمرتهم.

* * *

---

١ - فصلت: ٣٤-٣٥.

التسمم الفكري

التسمم درجات وأنواع ، تسمم قد يحدث نتيجة تناول غذاء فاسد ، أو دواء فاسد ، أو استخدام أدوات فاسدة ، وقد يصل التسمم إلى الدم ، فيكون الوباء أشد والعاقبة أسوأ ، غير أن الأسوأ من هذا وذاك هو التسمم الفكري ؛ ذاك أن أثر التسمم المادي مهما كان خطيرًا ربما لا يتجاوز الشخص المصاب ، أو الأشخاص المصابين ، وحال إمكانية علاجه والسيطرة عليه فإن أثره إلى زوال ، غير أن أثر التسمم الفكري قد لا يقف عند حدود الشخص المصاب ، ولا عند حدود مكانه ولا زمانه إنما كثيرًا ما يتجاوزه إلى محيطه على سعة أو ضيق هذا المحيط ، وقد يتجاوز حدود الزمان الذي يعيش فيه إلى عقود وقرون وأجيال وأجيال ، وقد يتجاوز هذا الأثر مجرد الانحراف الفكري إلى عمليات مدمرة ، بعضها قد يكون تكفيرًا ، فتفجيرًا ، فقتلًا وتدميرًا ، أو

إفسادًا وتخريبًا ، وبعضها قد يكون عمالة وخيانة وطنية ، أو بيعًا للوطن وأهله بثمن بخس .

وإذا كان المشرع قد وضع عقوبات للمتسبب في التسمم المادي وفق ما يترتب عليه من آثار وجرم من حيث التلاعب بطعام الناس أو غذائهم أو دوائهم أو كسائهم ؛ إهمالًا كان ذلك أم قصدًا بغية التربح والثراء السريع ، وشرع عقوبات لبيع السلع الفاسدة التي تدمر الصحة وتودي بالحياة ، ويلحق بذلك المتاجرة في السموم البيضاء وغيرها من المخدرات بكافة أشكالها وأنواعها لما تسببه من إتلاف للعقل وخلايا المخ وإنهاك وتدمير لصحة الإنسان وحياته ، فإننا لفي حاجة إلى قوانين أكثر ردعًا لهؤلاء المجرمين الذين يسممون عقول الناشئة والشباب بأفكار مدمرة ، ودعوات صراح للتكفير والقتل ، وفي حاجة أشد لقوانين أكثر حزمًا في تجريم الفكر الإرهابي وبثه

ونشره ، سواء أكان بطريق مباشر ، أم من خلال مواقع التواصل ، أم من على صفحات أو شاشات بعض وسائل الإعلام العميلة المأجورة .

ونؤكد أن علماء الدين ورجال الفكر والثقافة والتربية والتعليم والإعلام أمام مهمتين عظيمتين جليلتين كبيرتين :

الأولى: إدراك خطورة الفكر الإرهابي والعمل على تحصين الناشئة والشباب والمجتمع كله من شرور هذا التسمم الفكري، بعدم تمكين أي من أصحاب أو كوادر الفكر المتطرف من تشكيل عقول الناشئة أو الشباب ، وتنقية جميع مؤسسات تكوين العقل والفكر ، دينية كانت ، أم تربوية ، أم تثقيفية ، أم تعليمية ، أم إعلامية من أي خلايا نائمة أو مستترة لتلك الجماعات الضالة المضلة المتطرفة ، واجتثاث عناصرهم الإرهابية من هذه المؤسسات .

الأخرى وهي الأهم : العمل على ملء الفراغ وشغل الساحة بكل ما هو نافع ومفيد ومثمر ومحصن لأبنائنا من خطر هذه الجماعات والأفكار، ذلك أن أهل الباطل لا يعملون إلا في غياب أهل الحق ، وإذا فرط أصحاب الحق في حقهم تمسك أصحاب الباطل بباطلهم ، فعلينا جميعًا أن نتكاتف معًا ، وأن نعمل معًا ، وأن نسابق الزمن يدًا واحدة في مواجهة قوى الشر والإرهاب والضلال التي تحيط أو تتربص بنا .

كما أننا في حاجة إلى توعية مجتمعية واسعة ليكون المجتمع كله رافضًا للإرهاب لافظًا له ، بحيث لا يمكن أن يقبل مواطن واحد أن تكون منطقته حاضنة للإرهاب أو الإرهابيين، ذلك أن الإرهاب لا دين له ، ولا عهد له ، ولا وفاء له ، ولا يؤمن إلا بنفسه ، وأنه يأكل من يدعمه ، ومن يربيه ، ومن يصنعه ، ومن يموله ، ومن يتستر عليه ، وأنه عندما يصاب

بالسعار لا يفرق بين عدو وصديق ؛ لأن أصحابه يفقدون كل حس إنساني ، ويتجردون من صفات وخصائص الإنسانية ؛ بل إنهم يصيرون أكثر همجية ووحشية من أي حيوان مفترس ؛ ذلك أن الحيوان المفترس قد يتحرك في محيط جغرافي لا يتجاوزه، ولا يفترس إلا قدر شهيته أو حاجته للطعام ، أما هؤلاء فهم كما حكى القرآن الكريم عن من تمردوا على الله (عز وجل) وتخلوا عن كل تعاليم الأديان العظيمة ومعاني الإنسانية السوية ، فقال الحق (سبحانه وتعالى) عنهم : {إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا}[1]، وقال سبحانه :{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ

١- الفرقان : ٤٤.

يَلْهَثْ}[1]، وهما كما ذكر الشاعر:

ممن تأشب لا دين ولا حسب [2]

فهؤلاء المارقون الضُّلال لا هم أهل دين، ولا أهل أخلاق، ولا أهل قيم، ولا أهل إنسانية، إنما هم مسخ انسلخ من كل معاني الأديان والإنسانية، ومن الآدمية، فصاروا مسخًا آخر لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، لا إلى عالم الإنسان ولا إلى عالم الحيوان، إنما هم إلى مسخ آخر ذي طبائع خسيسة لم تشهدها البشرية من قبل، إنها طبائع الإرهاب والإرهابيين.

١- الأعراف: ١٧٥، ١٧٦.

٢- الشعر من ديوان نصر بن سيار الكناني، تحقيق: عبدالله الخطيب، ص ٢٨، ط بغداد، ١٩٧٢م، والأُشابَةُ من الناس: الأَخْلاطُ، والجمع الأَشائبُ، وتأَشَّبَ القَوْمُ: اختلطوا، وائْتَشَبوا أيضًا. يقال: جاء فلان فيمن تأَشَّبَ إليه، أي انضمَّ إليه والتَفَّ إليه، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، جـ ١/ ص ٨٨، ط: دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

مواقـع التطـرف

لا شك أن كثيرًا من الوسائل العصرية إنما هي حمالة أوجه ، أو أسلحة ذات حدين كما يقولون ، فالسكين التي لا غنى عنها في كثير من الاستخدامات الحياتية قد صارت في أيدي بعض المتطرفين وسيلة للذبح وسفك دم البشر ، والسلاح الذي لا غنى عنه في الدفاع عن الأوطان قد يصير لدى الجماعات الغاشمة والمتطرفة وسيلة للظلم والعدوان والفتك بالبشر بدون حق ، وهكذا في كثير من الصناعات والاختراعات والابتكارات المستحدثة ، فوسائل التواصل ومواقعه التي ينبغي أن تكون وسيلة لبث الحكمة والمعرفة ، والحوار الحضاري ، ونقل العلوم والمعارف والثقافات ، صارت لدى بعض الخارجين على النسق الإنساني السوي وسائل للتطرف الفكري وهدم الدول والمجتمعات ، وتشويه الرموز الوطنية ،

وبث الفتنة والفرقة بين أبناء الوطن الواحد ، وترويج الشائعات ، غير أن العاقل من يأخذ خيرها ونفعها ، ويتقي شرها وضرها ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}[1]، مما يستوجب ضرورة التحقق والتبين والتثبت ، وبخاصة ما ينشر أو ينقل عبر صفحات ومواقع وسائل أهل الشر أفرادًا أو جماعات ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ "[2]، أي أنَّه لو لم يكن للإنسان من الذنوب سوى أن يكون بوق كلام ينقل كل ما يسمع دون تحرٍّ أو تدقيق أو تثبت لأوقعه ذلك وحده – دون سواه – في الهلاك .

١- الحجرات : ٦.

٣- صحيح مسلم، مقدمة الصحيح، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، حديث رقم : ٥ .

لقد لجأت الجماعات الإرهابية ومن يسيرون في ركابها أو يدورون في فلكها إلى التركيز على مواقع التواصل بعد أن نفد رصيــدهــا في الشارع وسقطـت سقوطًـا سياسيًّا ومجتمعيًّا وأخلاقيًّا ذريعًا ، وأنشأت ما يعرف بالميليشيات والكتائب الإلكترونية ، فتنشط نشاطًا ملحوظًا على مواقع التواصل ، وفي شراء مساحات واسعة بها وبكثير من وسائل الإعلام العالمية بتمويلات مشبوهة من دول ومؤسسات راعيةٍ للإرهاب وداعمةٍ له ، لتُفسح المجال عبر هذه الوسائل لأبواقها المضللة.

علمًا بأن هذه المواقع تجاوزت بث الأخبار الكاذبة إلى انتهاج أسلوب التهكم والسخرية والتشويه من خلال بث مواد مقروءة تارةً ، ومصورة أو مسموعة أو مصورة مسموعة تارة أخرى ، ناسين أو متناسين أن الإنسان قد يتكلم الكلمة من سخط الله (سبحانه وتعالى) ليضحك بها جلساءه أو متابعيه أو مستمعيه فيهوي بها في النار بُعد الثريا .

على أن بعض هذه المواقع وبعض هذه الصفحات قد تجاوز كل ذلك إلى القذف الصراح ، والسباب البين ، والتحريض الفج على القتل وسفك الدماء ، والفساد والإفساد ، والتخريب والتـدمير ، دون وازع من دين أو ضميـر أو إنسانيـة أو خلـــق قويم ، والله جل جلاله لا يحب الفساد ، ولا يحب المفسدين .

ونؤكد على عدة أمور:

الأول : أن كل ما يأخذك إلى الرحمة والصدق ، والعمل والإنتاج ، والبناء والتعمير ، والأمن والأمان والسلام ، يأخذك إلى صحيح الإسلام ، وكل ما ينحدر بك في اتجاه الفحش والخنا ، والسباب والفسوق ورمي الناس بالباطل ، والحث على القتل وسفك الدماء ، وترويع الآمنين والهدم والتخريب ، والفساد والإفساد ، يأخذك إلى ما لا علاقة له بالدين ولا بالإنسانية ، بل إنه ليأخذك إلى ما يناقض الدين والفطرة السوية.

الثاني : ضرورة تحصين شبابنا ومجتمعنـا مـن أن يقـع فريسـة لهؤلاء ، فعلينا أن نسابق الزمن في كشف طبيعة هذه الجماعـات وعناصرها المفسدة ، وكتائبها الإلكترونية حتـى لا يُخْـدع بهـم الشباب النقي ، وأن نكشف للكون بـأسره مـا تتسـم بـه هـذه الجماعات من احتراف الكذب واتخاذه مسـلكًا ومـنهج حيـاة ، والافتراء على الله (عزّ وجلّ) وعلى الناس ،مـن بـاب أن الغايـة لديهم تـبرر الوسـيلة، وفي المقابـل علينـا أن نعمـل عـلى نشـر وترسيخ قيم الصدق وضرورة التحري والتثبت من الأخبـار، فليس كل ما يسمع ينقل أو يقال .

الثالث: أنه يجب التصدي وبكل قوة وحسم لهذه المواقع والصفحات المشبوهة ، والأخذ على أيدي أصحابها سواء بالمواجهة الفكرية ، أم بالإجراءات القانونية الحاسمة ، وإنفاذ القانون ، بكل قوة وحسم على من يعبث بأمن الوطن

ومقدراته، بل علينا أن نواجه أهل الشر بكل سبل المواجهة في آن واحد وبلا تردد أو هوادة ، فمن كان جاهلًا أو مُضللًا علَّمناه وأرشدناه ، ومن كان من ضحايا دعاة الفتنة وأربابها انتزعناه وانتشلناه ، ومن كان ذا غيٍّ وهوىً وضلال مأجورًا أو مدفوعًا بعمالة أو بخيانة بالحسم والقوة والقانون قوَّمناه.

ولكي نقضي على خطر مواقع التطرف فلا بد من تغليظ العقوبة على جرائم النشر الإلكتروني التي تهدد أمن الوطن واستقراره ، وتعمل - عن عمد وقصد وسبق إصرار- على تشويه الرموز الوطنية ، وتعتمد التهكم والسخرية وسيلة لجذب العامة ولفت أنظارهم ، كما أنها تحرف القول والكلم عن مواضعه ، وتلوي أعناق النصوص الدينية بما يخدم أفكارها التنظيمية وفكرها المتطرف .

سبيلنا وسبيل كل عاقل وكل وطني مخلص لوطنه هو البناء لا الهدم ، والتعمير وليس التخريب ، وصوت الحكمة

والعقل ، وليس سفك الدماء والقتل ، وتوظيف كل طاقاتنا وإمكاناتنا بما فيها استخدام مواقع التواصل في الخير لا في الشر، ونشر الفضائل والقيم ، وكل ما فيه صالح البلاد والعباد والإنسانية جمعاء .

وللحفاظ على أمن المجتمع وسلامه ، علينا أن نضاعف جهودنا في المواجهة الفكرية بالحجة والبرهان وبيان صحيح الدين ، فأهل الباطل لا يعملون إلا في غياب أهل الحق ، وإذا فرط أصحاب الحق في حقهم تمسك أصحاب الباطل بباطلهم، والله من وراء الباطل وأهله محيط بإذن الله ،"وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ"[1].

والخطـر كل الخطـر أن نقف موقـف المتفرج أو المتردد ، بل يجب أن نكون في سباق مع الزمن لمحاصرة هذه الكتائب الإلكترونية والعناصر الإرهابية على كل المستويات : الدينية ،

---

١ - الشعراء: ٢٢٧ .

والثقافية ، والإعـلاميـة ، بكشـف زيفهـا وزيغهـا وضـلالها وإضلالها ، وفسادها وإفسادها ، وخيانتها وعمالتها ، وخطرها على المجتمع بأسره ، وعلى كيان وبنيان الدولة الوطنية ، بل على الإنسانية بأسرها .

مع الأخذ بقوة على أيدي أهل الشر جميعًا والتأكيد الدائم على أن هؤلاء المجرمين لا علاقة لهم بالإسلام ، ولا علاقة للإسلام بهم ، فهو منهم ومن أفعالهم براء ، بل إنهم ليمثلون عبئًا ثقيلًا على الإسلام والمسلمين ، لأنهم يشوهون الوجه الحضاري لديننا الإسلامي السمح .

❊ ❊ ❊

أجَرَاءُ الإخوان

نعرف جميعًا طبيعة الإخوان الدموية ، وأيديولوجيتهم المبنية على الغدر ، والكذب ، والتضليل، والإقصاء، والنفعية المقيتة ، واستعباد الكبير منهم للصغير ، تحت أغاليط وضلالات السمع والطاعة العمياوين للمرشد أو المفسد ، مع محاولات دائبة -لا تكل ولا تمل- في شراء ذمم من يستطيعون وبأي ثمن؛ لأن جل أموالهم إنما هي أموال لا صاحب لها ، مال جمع من خلال خداع العامة تحت مسمى فعل الخير ، ليتخذوا منه غطاءً لغسل أموالهم القذرة ، التي تأتي مكافأة لعمالتهم وخيانتهم لأوطانهم ، وبيعهم لها ، ووضع أيديهم في أيدي أعدائها ، فهي ثمن لتدمير أوطانهم وتنفيذ مخططات من يستخدمونهم لهدمها .

لقد صار التستر على هؤلاء المجرمين وأجرائهم خيانة كبرى لا يحتملها وطني مخلص ؛ لأن شرهم صار مستطيرًا أينما

حلوا ، وخطرهم داهم على الدين والوطن والإنسانية ، وإذا ضم إلى ذلك ما نراه من صفاقة بعض أعضاء الجماعة الإرهابية، وبعض المأجورين من الخائنين المستخدمين من قبل بعض وسائل الإعلام العربية والغربية الممولة من أموال الجماعة وأموال من يدعمها ، لتوجه سمومها ضد أوطاننا من خلال محاولات الهدم الفكري الدائم والتحريض على العنف ، وبخاصة ضد الجيوش الوطنية ورجال الشرطة البواسل وكل وطني مخلص ، مع الشماتة الفجة حتى فيما يحدث من الظواهر الطبيعية التي تحدث في أي مكان ، وكأنهم بل إنهم لا يريدون لأوطاننا الأبية إلا ضعفًا وهوانًا .

لقد هالهم وأضج مضاجعهم ما رأوه من أمن واستقرار ، وما منّ الله (عز وجل) به على مصر وأهلها ، من تقدم في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وخروجها عن إطار التبعية إلى استقلال القرار المصري ، هالهم

كل ذلك ، ورأوا أن المارد المصري العظيم قد خرج من قمقمه ، فجن جنونهم ، فأخذوا يوجهون إليه سهامهم المسمومة سرًّا وعلنًا في محاولات فاشلة للنيل من الإنجازات وتعويق مسيرة الوطن ، فلم يفلحوا ولن يفلحوا بإذن الله تعالى ؛ لأن خزائن السماوات والأرض ليست بأيديهم إنما هي بيد من أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

ونؤكد على عدة أمور ، أولها وأخطرها : من يعملون بالوكالة لحساب الإخوان من الحركات المشبوهة والشخصيات الملوثة التي تعمل لحساب أعداء الوطن في عمالة ظاهرة وخيانة واضحة ، تستفز أي وطني مخلص لوطنه ، وهم من يمكن أن نطلق عليهم مصطلح" أجراء الإخوان"؛ لأن خبثهم ولؤمهم الذي كان مطويًّا ومستترًا قد صار ظاهرًا جليًّا لا يحتاج إلى فراسة لاكتشافه ؛ إذ إنهم لم يعودوا قادرين على إخفاء ما تنطوي عليه نفوسهم من شر وعمالة وخيانة لوطنهم ؛ حيث

يتسابقون في خدمة أسيادهم ومن يستعبدونهم الذين ضاقوا بهم وبضعفهم وبفشلهم في إحداث الفوضى في وطننا ومنطقتنا، مما جعلهم لا يملكون أعصابهم ولا عقولهم ، فأسلموها لمن يعبث بها وبهم ، فأخذوا ينكشفون ويتساقطون واحدًا تلو الآخر.

الأمر الثاني : عدم تسليط الضوء إعلاميًّا على العناصر غير الوطنية ، وعدم تمكينهم من وسائل الإعلام ومحاصرتهم على وسائل التواصل الاجتماعي ؛ إذ إنهم حريصون كل الحرص على إرسال رسائل لمن يستخدمونهم بأنهم موجودون ولهم صوت مسموع في وسائل الإعلام أو التواصل ، للإيهام بأن لهم تأثيرًا في تشكيل الرأي العام .

* * *

المتـرددون

في ظل حكم الأهل والعشيرة انقسم المجتمع إلى فئات وطبقات وشـرائح متعددة ، منهـا : المقـاومون ، ومنهـــا : الصامدون ، ومنهـا : الصامتون ، ومنهـا : المخدوعون ، ومنهـا: المترددون ، ومنها: الممالئون ، ومنهـا : المهرولون ، وعلى رأسهم المستفيدون والمنتفعون .

فالصامدون : هم من حافظوا على مبادئهم ، ووقفوا عند ثغورهم ، لم يفرطوا ولم يستسلموا لطغيان الإخوان السلطوي الإقصائي لغير الأهل والعشيرة ، أما المقاومون فكانوا أعلى درجة وأبعد همة ، فلم يقف دورهم عند حد الصمود ؛ بل تجاوزه إلى حد المقاومة ، وقد ضاق الفصيل الإخواني بهذا الفريق المقاوم ، وكان قد أعد العدة للخلاص منه ، ولكن الله (عز وجل) عجل بالإخوان وعهدهم ، فلم يتمكنوا من التنكيل بهؤلاء المقاومين، ولا حتى بالصامدين ، أو الصامتين ؛

لأن الإخوان لم يكونوا ليقبلوا غير فصيلهم وجماعتهم ، بل كانوا يعدون كل من سواهم إما ناقص الإسلام ، أو ناقص الوطنية ، أو ناقص الأهلية ، فمن أكثر ما جعلني أختلف معهم هو إحساسهم بالتميز على من سواهم ، ونظرتهم إلى غيرهم نظرة احتقـار أو استصغـار ، وكأن الجنة لا تُؤْتَى إلا من قِبَلِهم ، ولا يمسك بمفاتيح أبوابها سواهم ، أما هم فأخطاؤهم مبررة ، وذنبهم مغفور ، وحجهم مبرور ، ولو ارتكبت فيه الكبائر والموبقات .

وأما الطامة الكبرى فكانت في الممالئين والمنافقين والمنتفعين ؛ بل المهرولين بحثًا عن سلطةٍ أو جاهٍ أو مالٍ أو حتى وعد معسول مكذوب ، وقد تعامل الإخوان بمكر ودهاء منقطع النظير ، حيث أوهموا المقربين منهم والمخدوعين بهم بالمن والسلوى في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة ، وقد سمعت بأذني من يقول : لو سرتم خلفنا لأكلتم المن والسلوى ، كما زعم

بعضهم أن جبريل(عليه السلام) كان يرفرف بجناحيه على عصاباتهـــم وتجمعاتهـم الإرهابيـة ، فهم يستحلـون الكذب للوصول إلى أغراضهم ، حتى قال لي أحد الأصدقاء – وهو أستاذ بطب الأزهـر- أنا صـرتُ أعرف الإخوان وأميزهم بكذبهم ، وكنت أشك في بعض الناس هل هو إخواني أو لا حتى كذب ، فلما كذب تيقنتُ أنه إخواني ، فقد ارتبط بهم الكذب وارتبطوا هم به ، إلا من رحم ربي .

وأما الحسرة والأسى الحقيقيان فهما أولًا على المخدوعين المغـرر بهم من الشبـاب والنـاشئة وبعض العامـة الـذين هم في أمس الحاجة إلى من يحنو عليهم ، ويأخذ بأيديهم وينقذهم قبل فوات الأوان ، مما يتطلب من جميع مؤسسات بناء الوعي بذل أقصى الجهد لتحصين النشء والشباب من مخاطر هذه الجماعات وأفكارها الهدامة .

وأما المائلـون والمنافقـون والمهـرولون والمنتفعون فهم أناس

لا خلاق لهم ، وهم – بلا شك – أكثر الخاسرين .

ويكفيهم ما يلحقهم من خزي وذل وهوان ، فمهما خدعوا أو خادعوا ، فمن الممكن أن يخدع المتلون كل الناس بعض الوقت أو بعض الناس كل الوقت ، لكنه لا يمكن أن يخدع كل الناس كل الوقت ، وقد قال بعض النقاد : إن أصدق كلمة قالها شاعر قول زهير بن أبي سلمى: [1]

ومهما تكن عند امرئ من خليقة

وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ومع ذلك كله كان هناك من يراهنون على الحصان الخاسر ، ويتوجسون من الوهم ، ويخشون أن تدور الأيام إلى الخلف ، فلا تجد لهم موقفًا واضحًا ، وهناك من هو على استعداد لأن يتحالف مع العنف والإرهاب ، أو مع بقايا الفصائل المتشددة

١- ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ١١١، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨م.

أو الإرهابية ، أو ما يعرف بالخلايا النائمة لها ، دون تقدير صحيح للمصلحة الدينية أو الوطنية ، ونقول لهؤلاء جميعًا : أفيقوا ، ولا تترددوا ، وأدركوا الواقع ، فإما أن نكون أو لا نكون ، أما إمساك العصا من المنتصف فذلك عصر قد ولَّى إلى غير رجعة .

* * *

أخطاء وخطايا في تناول الخطاب الديني

لا شك أن أي تغيير أو تجديد في تناول قضايا الخطاب الديني عبر تاريخ البشرية ، لا يمكن أن يكون موضع إجماع أو اتفاق قبل الاختبار لمدد أو فترات زمنية تطول وتقصر وفق قناعات المجددين وصمودهم واجتهادهم وقدرتهم على الإقناع برؤاهم الفكرية الجديدة ، وأن التقليديين والمحافظين والمستفيدين من الأوضاع المستقرة لا يمكن أن يسلموا بالسرعة والسهولة التي يطمح إليها المجددون ، وبمقدار عقلانية المجددين وعدم شطط المحسوبين عليهم في الذهاب إلى أقصى الطرف الآخر ، يكون استعداد المجتمع لتقبل أفكارهم ، بقطعهم الطريق على أصحاب الفكر الجامد والمتحجر من طعنهم في مقتل ، غير أن الوسطية التي نبحث عنها جميعًا ويدَّعيها كل فريق لنفسه صارت حائرة غاية الحيرة بين طرفي النقيض.

ويأتي تناولنا لهذا الموضوع من ثلاثة جوانب عامة هي:

مفهــوم المقــدس ، وخطــورة الخـروج عن الموضوعي إلى الشخصي ، وحرية المعتقد وحدود حرية الرأي .

أما الجانب الأول ، فهو مفهوم المقدس والنظرة إليه ما بين مقدس للقديم على إطلاقه لمجرد قدمه ، بحيث يكاد ينزل أقوال بعض الفقهاء منزلة النص المقدس ، حتى تلك الأقوال التي ناسبت زمانها ومكانها وعصرها ، وأصبح واقعنا يتطلب اجتهادًا جديدًا يناسب عصرنا ومعطياته ومتطلباته ، حتى رأينا من يكاد يقدس أقوال بعض المفسرين والمؤرخين وما ورد بكتب الأنساب ، وكتب السير والملاحم، على عَلَّات بعضها.

وفي أقصى الطرف الآخر نجد من يتطاول تطاولًا سافرًا على أمور هي من الثوابت أو في منزلتها على الأقل ، متخذًا من شعار التجديد الذي يصل عند البعض إلى درجة الهدم مجالًا للاعتداء على الثوابت ، قد يكون عن ضيق أفق أحيانًا أو عن

نفعية وسوء قصد لا نثبته ولا ننفيه ؛ لأن القلوب بيد الله تعالى، والنيات عنده سبحانه مرجعها ومقصدها.

ومع تأكيدنا الشديد أننا في حاجة إلى التجديد وإعمال العقل وأننا ضد الجمود الفكري ، والتحجر عند القديم ، والتمترس عنده وغلق باب الاجتهاد ، وضيق الأفق أو انغلاقه أو انسداده ، وضد تكفير المثقفين أو اتهامهم في وطنيتهم إلا بحكم قضائي نهائي وباتّ ، فإنني أذكر أن جميع أصحاب المعتقدات لا يقبلون النيل من ثوابتهم ، ولا الاعتداء عليها حتى ولو كانت بيّنة البطلان بالعقل والنقل عند غيرهم .

ومن أكبر أخطاء وخطايا تناول الخطاب الديني "وهو الجانب الثاني" الخروج من الموضوعي إلى الشخصي ، والإسفاف إلى درجة ما يشبه السباب والسباب المتبادل إن لم يكن سبًّا وقذفًا صراحًا ، سواء أكان فيما بين المتحاورين أم المتناظرين بالتطاول على العلماء والمفكرين ، فعندما يتحدث

أي مفكر في قضية موضوعية مراعيًا أدب الحديث وأدب الحوار وأسس النقد العلمي الموضوعي وأصوله فهذا تعبير عن الرأي يقابل ويناقش بالحجة والرأي والعقل والمنطق ، أما عندما يخرج هذا المفكر أو الباحث أو الناقد عن التناول الموضوعي إلى التطاول على الأشخاص سواء أكانوا من المعاصرين أم من أصحاب الرأي والفكر والأثر في تراثنا الديني أو العلمي أو الثقافي؛ فإن ذلك يُعد أمرًا غير مقبول، وقد لا يمكن الصبر أو السكوت عليه ، وقد يكون مسار استفزاز لمن هم على قناعة واعتداد بفكر هؤلاء الرجال، وقد ينبري لهم بعض من يرون أن الدفاع عن هؤلاء العظماء واجب شرعي أو عقلي أو إنساني، وتحدث معركة كلامية أو جدلية جديدة أو قديمة متجددة ربما تشغل الساحة عن رؤى أهم وقضايا أولى بالتناول في تلك المرحلة الفارقة من تاريخنا الوطني .

أما الجانب الثالث : فهـو ما يتصل بالفهم الصحيح والفهـم

الخاطئ لحرية الرأي ، فإننا نفرق بين حرية المعتقد وحرية الرأي، كما نفرق بين الحرية المنضبطة بضوابط الشرع أو العقل أو القانون وبين الفوضى التي لا حدود لها ، فمع أن ديننا الحنيف لم يحمل الناس حملًا أو إكراهًا على الدخول فيه ، حيث يقول الحق (سبحانه وتعالى) : { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[1]، ويقول (عز وجل) : {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}[2]، ويقول سبحانه: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[3] ، ويقول سبحانه : { إنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ}[4] ، ويقول سبحانه: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِن

١- البقرة: ٢٥٦.

٢- هود : ١١٨.

٣- القصص: ٥٦.

٤- الشورى: ٤٨.

نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ}[1]، فقد أصَّل الإسلام لحرية المعتقد تأصيلًا واضحًا يؤكد سماحته وسعة أفقه ، لكن هذا شيء ومفهوم حرية الرأي الذي لا ينبغي أن يصبح انفلاتًا أو فوضى ؛ تطاولًا على الثوابت أو المقدسات أو الأشخاص باسم حرية الرأي شيء آخر ، على أننا في حاجة ملحة إلى العمل لا الجدل ، وأن نجتمع على المتفق عليه ، ويعذر بعضنا بعضًا فيما يقبل الرأي والرأي الآخر من المختلف فيه ، وألا ننجرّ إلى لغة السب والقذف ، أو السباب المتبادل وما يشبهه ؛ حفاظًا على الذوق المجتمعي العام ، الذي لا يقبل عقلاؤه الإسفاف الذي يُعد غريبًا على ذوقنا وقيمنا وحضارتنا العربية والإسلامية الأصيلة الراقية .

* * *

١ – الشعراء: ٣ ، ٤ .

نقد الفكر الإنساني

لا شك أننا نقف في عالمنا المعاصر بثقافاته المتعددة بين مدارس فكرية وعلمية وفلسفية متعددة ، بعضها يعظم القديم لمجرد قدمه فحسب ، سواء أكان داخلا في باب المقدس ، أم غير داخل فيه ، حتى في الفكر والأدب والإبداع ، فهو يُؤْثر كل قديم على كل حديث ، على شاكلة ما رواه ابن قتيبة[1] وغيره من أن أحد الشعراء أنشد الأصمعي أبياتًا ، فقال له الأصمعي: إن هذا لهو الديباج الخسرواني ؛ أي : الشعر الجيد الذي يمتدح ويشاد به ، ثم استرسل الأصمعي: لمن تنشدني ؛ فأجاب الشاعر : بأنهما من شعره أنشدهما لليلته ، وهنا غيّر الأصمعي رأيه على الفور ، قائلًا : إن أثر التكلف عليهما لبيّن واضح ، وما

١- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، لأبي الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني ، تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، جـ ١ / ص٥٠، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي .

ذاك إلا لعصبيته للقديم دون سواه بغض النظر عن الجودة أو عدمها.

وهو ما تصدى له كثير من علمائنا كُتَّابًا ومفكرين وفلاسفة بالنقد والتفنيد ، مؤكدين أن الله (عز وجل) لم يؤثـــر بالعلـم ، ولا بالفقه ، ولا بالاجتهاد ، ولا بالشعـر ، ولا بالإبداع قومًا دون قوم أو زمانًا دون زمان ، أو مكانًا دون مكانٍ ، ولذا فإنهم لا يقدمون القديم لمجرد قدمه ، ولا يبخسون الحديث أو المعاصر حقه لمجرد حداثته أو معاصرته ، إنما الميزان عندهم منطقي موضوعي ، وهو ألا ننظر إلى من قال وإنما إلى ما قال ، فالحكم على العمل لا على صاحبه ، وعلى النص لا على القائل ، وعلى الإبداع لا على المبـدع ، ولكل جواد كبـوة ، ولكل عالـم زلة ، ولكل مبـدع سقطـة أو هفوة ، والكمـال لله وحده ، والعصمة لأنبيائه ورسله .

وفي المقابـل ثمة فريق آخر أسـرف في حداثته وإطلاق العنـان

للعقل البشري حتى ذهب إلى رفع القداسة عن المقدس ، وإنزال النصوص المقدسة منزلة النصوص البشرية القابلة للنقد والتفنيد .

ويذهب البعض- وبخاصة في الجماعات المتطرفة - إلى إنزال شيوخهم وأمرائهم ومرشديهم منزلة القرآن الكريم أو أشد منزلة جهلًا وحمقًا ، فأكثر شباب الجماعات المتطرفة يجعلون كلام مرشدهم فوق كل اعتبار ، وهو المقدس الذي لا يرد ، ولا مجال للتفكير أو إعمال العقل فيه ، على أن أحدهم قد يجادلك في فهمك للنص القرآني إن تناقض مع شيء من كلام شيخه أو مما دُسَّ له عبر كتبهم ومحاضراتهم وتفسيراتهم وتأويلاتهم ، ولا يسمح لك أن تناقضه أو تناقشه في كلام شيخه المقدس لديه ، فقضية تأليه البشر أو تقديسهم ، أو رفعهم إلى درجة المهديين المنتظرين أمر في غاية الخطورة على التفكير المنطقي السليم .

على أننا نفرق - تفريقًا واضحًا لا لبس فيه - بين إنزال الناس منازلهم وإكرام العلماء وبين تقديس البشر أو محاولة تقديسهم أو إضفاء هالة من التقديس عليهم ، تُصَوِّرُ نقد كلامهم على أنه نقد للإسلام وطعن في فهم صحيح الكتاب والسنة ، مع أن كل البشر بعد المعصوم (صلى الله عليه وسلم) يؤخذ منهم ويرد عليهم في ضوء أدب الحوار ومراعاة أصوله ؛ ولذا نؤكد دائمًا أن مؤسساتنا الدينية ليست مؤسسات كهنوتية ولا ينبغي أن تكون أو تقترب من ذلك ، كما أنها ليست محاكم تفتيش ، فمهمتها البيان لا الحساب .

وأكاد أجزم أن ضعف التكوين العقلي والفكري والثقافي لدى بعض شبابنا يعد طامة كبرى ، وأن ضيق الأفق الثقافي ومحدوديته وربما انغلاقه وانسداده قد ينحرف بالمتحدث أو الكاتب إلى معالجة خاطئة لبعض القضايا ، أو ينجرف به إلى الصدام مع المتلقي مشاهدًا كان أو سامعًا أو قارئًا ، كما أنه قد

ينجرف بالمتلقي إلى التسليم المطلق والاستسلام الأعمى لمن يأخذ بزمام عقله من شيوخ الجماعات الضالة أو الإرهابية أو المنحرفة .

غير أن الذي ينبغي التأكيد عليه هو أننا في حاجة ماسة إلى مناهج علمية وتعليمية وتربوية تخرج بنا من مناط التلقي والتلقين والتقليد إلى مناط التفكير والمشاركة والإبداع والنقد ، وأن تصبح فكرة تقبل النقد والقدرة على سماعه واستيعابه والتعامل معه دون عصبية أو انفعال مسلكًا ومنهجًا حياتيًّا ، بحيث نفيد جميعًا من النقد البناء .

أما أن يقتحم مجال التوجيه أو النقد من لا يمتلك لا الخبرة ولا الحاسة ولا أدوات الصناعة والفن أو مؤهلات التوجيه والنقد ، فتلك هي الطامة الكبرى التي تؤخر ولا تقدم ، وتفسد ولا تصلح .

كما يجب التحلي بالإخلاص والتجرد والبعد عن الأهواء وتصفية الحسابات ، فإن الوقوع في آفات الهوى والميل وعدم الإنصاف طامة كبرى يجب الترفع عنها ، وذلك أن بعض النفوس المريضة لا تعرف سوى الهدم طريقًا.

ما أحوجنا مرة أخرى إلى التوازن في حياتنا بين دراسة العلوم التطبيقية والبحثية ودراسة علوم النفس والاجتماع والفلسفة والآداب والتاريخ والحضارة والعمران .

ما أحوجنا إلى التخلص من تقديس الذات إلى نقدها ، من الذاتية إلى الموضوعية ، من تضخم الأنا إلى الاعتراف بالآخر وتقديره واستيعابه والتعامل والتعاون معه ، ما أحوجنا إلى أن نسمع لا أن نحرص فقط على أن نُسْمَع أو نُسمِعَ ، فإذا كان للإنسان أذنان ولسان واحد ، فينبغي أن يكون سماعه أكثر من كلامه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):" مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله

وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ "[1].

وأخيرًا نؤكد بأنه لا يصح إلا الصحيح ، ولا بقاء إلا للأصلح ، حيث يقول الحق سبحانه: { فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ }[2] .

* * *

١- صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ، حديث رقم: ٦٤٧٥.

٢- الرعد : ١٧ .

البنـــاء والهـــدم

شتان بين النقيضين البناء والهدم ، وإذا كان ديننا إنما هو دين البناء وعمارة الكون ، فإن كل من يأخذك إلى هذا الطريق ، طريق البناء ، طريق العمل ، طريق الإنتاج ، طريق الإتقان ، طريق الحفاظ على المنشآت العامة والخاصة إنما يأخذك إلى طريق الإسلام ، إلى طريق الوطنية ، إلى طريق الحضارة والرقي، إلى خير المجتمع وخير الإنسانية ، ومن يحاول أن يجرك إلى طريق آخر عكس هذا الاتجاه ، كأن يجرك أو يسلمك إلى طريق الهدم والتخريب وتدمير المنشآت والبنى التحتية أو الاعتداء عليها أو المساس بها إنما يأخذك إلى طريق الهلاك في الدنيا والآخرة ، يقول الحق سبحانه : { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ الله فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ

عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[1]، ويقول سبحانه : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ }[2].

على أن من يعمل بالبناء فلن يكون لديه فائض وقت أو جهد للهدم أو التخريب ، لأنه يدرك طبيعة البناء وما يتطلبه من جهد ومعاناة ، وأن الباني لا يمكن أن يكون هدامًا ؛ لأنه صاحب نفس ملأى بالخير والعمار والحضارة والرقي .

أما الهدامون أصحاب النفوس المريضة الذين قصرت بهم هممهم عن أن يجاروا أهل الجد والكفاح والتعب والعرق

١- محمد : ٢٢-٢٤.

٢- البقرة : ٢٠٤-٢٠٦ .

والعمل والإنتاج ، فلم يجدوا جبرًا لنقيصتهم وسترًا لعورتهم وشفاء لإحساسهم بالنقص سوى حسد الأماجد وانتقاص الأفاضل ، على حد قول القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في مقدمة كتابه " الوساطة بين المتنبي وخصومه" وأهل النقص رجلان : رجل أتاه التقصير من قبله ، وقعد به عن الكمال اختياره ، فهو يساهم الفضلاء بطبعه ، ويحنو على الفضل بقدر سهمه ، وآخر رأى النقص ممتزجًا بخلقته ، ومؤثّلًا[1] في تركيب فطرته ، فاستشعر اليأس من زواله ، وقصرت به الهمة عن انتقاله ، فلجأ إلى حسد الأفاضل ، واستغاث بانتقاص الأماثل ، يرى أن أبلغ الأمور في جبر نقيصته ، وستر ما كشفه العجز عن عورته ، اجتذابُهم إلى

١- مؤثل يعني: له أصل ثابت. المنجد في اللغة لأبي الحسن الأزدي ، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي ، ص ١١٣، ط : عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٨م.

مشاركته ، ووسمُهم بمثل سِمَتِه "[1].

هؤلاء الهدامون خطر داهم على المجتمع، وعلى أمنه الاجتماعي والاقتصادي، يقول الشاعر[2]:

متى يبـلغ البنـيان يومًـــا تمامه

إذا كنت تبنيه وغـيرك يهـــدم

على أن ديننا ينبذ كل ألوان ومعاني الهدم والتخريب ، ويدعو إلى البناء وعمارة الكون ، وكل ما فيه صالح الإنسانية ، يقول سبحانه : {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ الله قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ }[3]، ويقول سبحانه:

١- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي الجرجاني ، جـ١/ ص٣ ، ط : مطبعة عيسى البابي الحلبي .

٢- من ديوان صالح عبد القدوس ، تحقيق : د/ عبد الله الخطيب ، ص ١١٧، ط: دار منشورات البصرة ، بغداد.

٣- الأعراف : ٥٦.

{فَاذْكُرُواْ آلاء الله وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[1]، مما يتطلب منا جميعًا العمل على نشر ثقافة البناء ، والعمل على ترسيخ الإيمان به ، وأن ما كان للإنسان فلن يخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الناس جميعًا لو سابقوا إنسانًا فلن يأخذوا شيئًا كتبه الله تعالى له ، ولن يصلوا إليه ، ولو دفعوه إلى الأمام جميعًا فلن يوصلوه إلا إلى شيء كتبه الله له ، يقول سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " .. وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"[2].

فما أحوجنا إلى تطهير قلوبنا من الحقد والحسد والعمل على

١- الأعراف :٧٤.

٢- سنن الترمذي ، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ ، باب منه ، حديث رقم : ٢٥١٦.

تعطيل الآخرين أو تعويق مسيرتهم أو محاولات إفشالهم ، فليس كل ذلك ولا شيء منه من الإيمان أو كريم الأخلاق أو القيم الإنسانية النبيلة ، إنما على العكس من ذلك كله ، فهو حقد يأكل صاحبه على حد قول ابن المعتز[1]:

اصبر على مضض الحسود
فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها
إن لم تجد ما تأكله

فلنصدق النية والعمل لله (عز وجل)، ثم لوطننا ومجتمعنا ، وأبنائنا وأحفادنا وأنفسنا ، ذلك أن الواجب الشرعي والوطني يتطلبان منا جميعًا وحدة الصف وتضافر الجهود لخدمة ديننا ووطننا وقضايانا العادلة ، وألا يعوق أحد منا مسيرة الآخر ،

---

١ – ديوان ابن المعتز ، ص ٣٨٩ ، ط : دار صادر بيروت .

بل يشد بعضنا أزر بعض ، فالعمل العمل ؛ لأنه صمام الأمان ، وحذارِ حذارِ من الهدم والتخريب ؛ فهما سبيل الدمار والهلاك في الدنيا والآخرة .

* * *

دعاة الإحباط ودعاة الأمل

سئم الناس ثقافة الإحباط والاكتئاب ، وحُق لهم ، إذ إن هذه الثقافة المرة مرارة الحنظل إنما تنضح من أوانٍ صدئة ، ونفوس مظلمة ، تنظر نظرة سوداء ، ولا ترى من الكوب سوى نصفه الفارغ ، أو جانبه الصدئ ، فتريد أن تضفي سـوادها على الكـون ، وأن تحمّله أوجاعها ومآسيها عنتًا وكرهًا ، على نحو ما تمثلت به ليلى بنت طريف في رثائها أخاها مالكًا ، عندما توجهت إلى شجر الخابور الوارف الظلال المسجى بالخضرة فأرادته قحطًا قاحلًا يابسًا جافًّا ، فقالت[1]:

فيا شجر الخابورِ مالــكَ مورقًا

كأنك لم تحزنْ على ابن طريف؟!

---

١ – العقد الفريد لابن عبدربه ، جـ ٣ / ص ٢٥٥، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٤ هـ .

وكما قال الشاعر إيليا أبو ماضي[1]:

والـــذي نفســـه بغيـــر جمــــال

لا يـــرى في الوجود شيئًا جميـــلا

إنّ شرّ الجناة فـي الأرض نفـسٌ

تتوقّـى قبـل الرّحيـــلِ الرّحيـلا

وترى الشّوك في الورود وتعمى

أن ترى فوقهـا النّـــدى إكليـلا

أو كما قال الشاعر البائس عبد الحميد الديب[2]:

إنَّ حظـي كدقيق فوق شـــوكٍ نثــروه

ثم قالـوا لحفاةٍ يـــوم ريـــحٍ: اجمعــــوه

١- ديوان إيليا أبو ماضي ، ص٨١ ، ط : دار العودة ، بيروت .

٢- ديوان عبد الحميد الديب شاعر البؤس ، تحقيق : محمد رضوان ، ص٢٠١ ، ط: المجلس الأعلى للثقافة ، سنة ١٩٩٩م .

صعــــب الأمر عليهم قلت: يا قوم اتركـوه

إنَّ من أشقاه ربي كيف أنتم تسعدوه؟!

لقد عدّ العلماء اليأس والتيئيس والإحباط والتحبيط من الكبائر ، ودعانا ديننا السمح أن نُيَسِّر ولا نُعَسِّر، ونُبَشِّر ولا ننفر، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا ، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا"[1].

والدعوة للتفاؤل دعوة العقلاء ، وتغنى بها الشعراء ، فيقول إيليا أبو ماضي في دعوة سمحة للتفاؤل[2]:

قال: الســماء كئيبــة ، وتجهــمـــا

قلت: ابتسم يكفي التجهم في السما

١- صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير ، حديث رقم : ١٧٣٢.

٢- ديوان إيليا أبو ماضي ، ص ٨٣ ، ط : دار العودة ، بيروت .

قالَ: الصِّبا ولَّى! فقلتُ لهُ: ابتسمْ

لن يُرجعَ الأسفُ الصِّبا المتصرِّما!

قال: اللـيالي جـرَّعتـني علـقـمًـا

قلتُ: ابتسمْ، ولئنْ جرعتَ العلقما

فلعـلَّ غيـرك إن رآك مـرنِّمـا

طَـــرَحَ الكـآبة جانـبًـا وتـرنَّـما

أتُـراك تغنـم بالـتبرُّمِ درهـمــا

أم أنـت تخسـرُ بالبشـاشةِ مغنـما؟

فما بال هؤلاء الذين ملئت قلوبهم بالحقد والسواد ، فلا يرون إلا قتامًا ؛ وكأنهم لم يقفوا على سعة رحمة الله تعالى وما فتحه لعباده من أبواب الأمل في الدنيا والآخرة ، حيث يقول سبحانه: { مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[1]، ويقول

١- فاطر : ٢ .

سبحانه: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[1]، ويقول تعالى: { وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ الله إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ الله إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ }[2]، ويقول عز وجل) : {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }[3].

على أننا نؤكد أنه على الرغم من محاولات التيئيس التي يعمل أعداؤنا على فرضها علينا لنصل إلى أنه لا أمل ، فإن هناك جهودًا كبيرة تبذل في مجالات بث الأمل ، مع تأكيدنا أنه حال عمل أهل الحق بصدق وإخلاص فإن الباطل زاهق ومنسحق لا محالة، حيث يقول الحق سبحانه : { إِنَّ الله لَا يُصْلِحُ عَمَلَ

١ – الأعراف : ٩٦.

٢– يوسف: ٨٧ .

٣– الزمر : ٥٣ .

الْمُفْسِدِينَ }[1]، ويقول تعالى: {وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[2]، ذلك أن شجرة الباطل قد تعلو وترتفع غير أن جذورها تظل هشة لا تثبت أمام الرياح أو الزمن ، أما شجرة الحق فراسخة رسوخ الجبال ، حيث يقول الحق سبحانه:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ الله مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ الله الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ الله الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ الله مَا يَشَاءُ }[3].

* * *

١- يونس: ٨١.

٢- الشورى : ٢٤ .

٣- إبراهيم : ٢٤-٢٧ .

الإعلام الديني بين صنع التطرف ومواجهته

لا شك أن الإعلام أحد أهم الأسلحة في المعارك الفكرية والثقافية لتجييش الرأي العام أو تهيئته.

وإذا كان الإعلام بصفة عامة – كما يقولون – سلاحًا ذا حدين، فإنني آثرت أن يكون العنوان متسقًا مع هذه المقولة ، واخترت الإعلام الديني وأثره في صنع التطرف أو مواجهته لألقي الضوء على النقيضين.

وإذا كان مثل هذا العنوان يستوعب – بل يستحق – دراسة متخصصة تخرج في شكل رسالة علمية ماجستير أو دكتوراه أو دراسة أكاديمية أو مؤسسية تستقصي كل جوانبه ، فإنني سأحاول أن ألقي الضوء على جانب من المشهد لعله يفتح الباب أمام الباحثين لدراسات مستفيضة في هذا المجال .

فهناك إصدارات جادة تتناول القضايا الفكرية والدينية تناولًا موضوعيًّا ، وتناقشها مناقشة علمية جادة ، وبخاصة ما يتصل

بمواجهة الإرهاب والفكر المتطرف ، وهذه الوسائل يجب أن تُشجع وأن تُحتضن وأن يلقى عليها الضوء أكثر مما هو عليه الآن ، ثم إن عليها جميعًا أن تطور من نفسها شكلًا ومضمونًا بما يتواكب مع معطيات العصر ومستجداته وقضاياه الراهنة.

ويرجع نجاح هذه الوسائل إما لأنها تنتهج نهجًا دينيًّا خالصًا، أو أنها تنتهج نهجًا دينيًّا ووطنيًّا وتثقيفيًّا ، بعيدًا عن التجاذبات الحزبية ، وعدم تبعيتها لأي جماعة دينية أو فصيل سياسي .

أما إذا استدعينا إلى الذاكرة هذا العام الأسود المشئوم المعروف بعام حكم المرشد أو جماعة المقطم أو عام الأهل والعشيرة ، فإننا نريد أن نذكِّر لكي لا ننسى أو نفقد الذاكرة ببعض ما كانت تبثه وسائلهم الإعلامية من قذائف تشدد كغزوة الصناديق ، أو الدعوة إلى هدم الآثار أو تحطيمها ، أو تلك السيول المفرطة في التكفير أو التهديد والوعيد والقذف

والسباب الصراح ، حيث تحولت بعض البرامج الدينية آنذاك إلى برامج حزبية موجهة لصالح جماعة الإخوان المسلمين ومن كان يدور في فلكها من جماعات وتيارات وأحزاب الإسلام السياسي وبلا أي استثناءات .

ومع دعوتنا الصراح لدعم جميع الوسائل المعتدلة من الإعلام الديني وحث العلماء المتخصصين على إثرائها سواء بحواراتهم أم بمقالاتهم وكتاباتهم ، فإننا ندعو جميع وسائل وبرامج الإعلام الديني إلى إفساح المجال واسعًا أمام المتخصصين دون سواهم ، وعدم السماح لغير المؤهلين وغير المتخصصين بالتصدر الديني عبر هذه الوسائل ، حتى نستطيع معًا تجفيف منابع التطرف والفتوى بدون علم ، ونغلق الباب أمام الأدعياء من أن يعبثوا بعقول المجتمع وأمنه الفكري .

كما نحذر من تسلل بعض عناصر التطرف والتشدد إلى بعض وسائل الإعلام الديني كتابة أو تحريرًا أو خلافه ، ولو كان

ذلك تحت مظلة التقية المقيتة ، إذ إن تطهير جميع هذه الوسائل من عناصر الجماعات المتشددة يعد واجبًا دينيًّا ووطنيًّا .

* * *

تفكيك حواضن الإرهاب

مما لا شك فيه أن الإرهاب ما كان ليتسلل إلى أي بيئة أو وطن أو منطقة ما لم يتوفر له عنصران : عنصر يدفعه ويدعمه ويموله ، وآخر يحتضنه ويؤيه .

أما العنصر الأول: الذي يدفع الإرهاب ويموله ويدعمه ويغذيه ؛ فهو بلا أدنى شك أعداء ديننا ووطننا وأمتنا ، وأما العنصر الثاني : فهو الحواضن التي يأوي إليها ويسكن في جنابها.

والذي لا شك فيه – أيضًا – أن هذا الإرهاب الأسود بتلك العناصر الخطرة والأخلاط والأمشاج التي أتت وتجمعت من كل حدب وصوب ما كان لهم أن يخترقوا صفوف أي وطن ما لم تكن لهم فيه حواضن تؤيهم وتمدهم بما يحتاجون من المال أو السلاح وسائر ألوان الدعم ، وتوفر لهم البيئة المواتية وتمدهم بالمعلومات الكافية ، في عالم صارت فيه الحروب التقنية ،

والإلكترونية ، والمعلوماتية ، والإعلامية ، والنفسية ، أساليب ووسائل وأدوات لا يُستهان بها لإخضاع الخصم ، وإضعاف معنوياته ، ودفعه إلى الإحباط أو التسليم .

وكما أن ما يسمى بالدعم اللوجستي أمر في غاية الأهمية في تحقيق النصر على الأعداء وحسم العديد من المعارك ، فإن قطع هذا الدعم عن الإرهاب والإرهابيين ، والتطرف والمتطرفين ، يُعجّل بنهايتهم والقضاء عليهم ، وتخليص العالم كله والإنسانية جمعاء من شرهم المستطير .

وهذا يتطلب دراسات علمية واعية مستفيضة لمعرفة المستفيدين من الفوضى ومن العمليات الإرهابية ، سواء أكانوا موجهين ، أم محرضين ، أم منفذين ، أم مأجورين ، والعمل على مواجهتهم بحسم لا هوادة فيه ، بالتحفظ بل مصادرة أموال كل من يثبت دعمه أو تمويله للإرهاب ؛ لأن هذا المال القذر الذي يوجه لتمويل القتل والتخريب ينبغي أن يصادر لصالح

البناء والتعمير ، ورب العزة (عز وجل) يقول:{وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ الله لَكُمْ قِيَامًا}[1]، وقد أفرد الفقهاء بابًا للتعامل مع أموال السفهاء سموه (باب الحجر)، الذي يعني الحجز والتحفظ ، وقسموه قسمين : " الحجر لحق الغير"؛ أي لصالح الدائنين ، و" الحجر لحق المال"، وهو الحجر على السفيه والمبذر الذي لا يحسن التصرف في أمواله ويبذرها سفهًا فيما لا ينبغي الإنفاق فيه ، فما بالكم بمن يستخدمها في القتل والتخريب والفساد والإفساد ؟؟.

وهناك منظرون لهذا الإرهاب ، يحرض بعضهم عليه صراحة دون مواربة ، ويبث بعضهم سمومهم بين الحين والحين ، ولو في ثنايا كلام معسول .

على أننا في وضع لا يحتمل هؤلاء المنافقين والمتلونين ، حيث يقول تعالى: {إِن تَمْسَسكُم حَسَنَة تَسُؤهُم وَإِن تُصِبكُم

١- النساء : ٥ .

سَيِّئَة يَفرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُم كَيدُهُم شَيـئًا إِنَّ الله بما يَعمَلُونَ مُحِيط}[1]، فهؤلاء إذا أصاب الدولة خير قالوا: إنا معكم ونبارك أعمالكم ، وإذا حدث مكروه – لا قدر الله–كشفوا النقاب عن وجه عابس ، وتكلموا بألسنة حداد ، يبدون العداوة والشماتة ، وما تخفي صدورهم أكبر .

ولا شك أن ترك بعض من يدعمون الإرهاب والإرهابيين طلقاء– أو غض أي جهة الطرف عنهم– أمر في غاية الخطورة، وأخطر منه تمكين أيٍّ منهم من أي مفصل من مفاصل الدولة ، وبخاصة الجوانب الخدمية التي تمس حياة المواطنين مباشرة ؛ لأنهم يدركون أن تعطيل هذه الخدمات هو سبيل لإثارة الغضب والتذمر والسخط وربما الفوضى ، فيجب ألا تُسْنَد إدارة المرافق والأعمال الخدمية إلا لمن يُتَيقّن من ولائه لوطنه ، وتفانيه في خدمته ، وحرصه عليه ، وإيمانه بقضاء حوائج

---

١ – آل عمران : ١٢٠ .

الناس ، والسهر على راحتهم ، ويقينه بأن هذا هو صلب الدين والإيمان ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم):"إِنَّ لله عِبَادًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ ، يُقِرُّهُمْ فِيهَا مَا بَذَلُوهَا ، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ"[1]، ويقول (صلى الله عليه وسلم):" اللهمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ"[2].

وكما ينبغي ألا نمكِّن داعمي التطرف والموالين لهم من المرافق الخدمية ، فمن باب أولى ألا نمكن أحدًا منهم من الجوانب الثقافية أو الفكرية أو التربوية ، حتى لا يبثوا سمومهم وأفكارهم الإرهابية في المجتمع ، وبخاصة بين

١- المعجم الكبير للطبراني ، جـ١٣/ ص ١٤، حديث رقم : ١٣٩٢٥ .

٢- صحيح مسلم : كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ، حديث رقم : ١٨٢٨.

الناشئة والشباب ، إنما يجب أن نعمل وبسرعة وحسم على تخليص المجتمع من سمومهم ، وشرورهم ، وآثامهم ، وجرائمهم الفكرية والأخلاقية والمجتمعية ، { وَالله غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }[1].

* * *

١- يوسف: ٢١ .

حماية المجتمع من التطرف

لا شك أن التطرف يشكل خطرًا على الهوية الدينية ، وعلى الهوية الوطنية ، فمن ناحية الهوية الدينية ؛ فإن الجماعات الضالة المتطرفة قد حاولت اختطاف الخطاب الديني وتوظيفه أيديولوجيًّا لخدمة مطامعها ومطامع من يمولها ويستخدمها لهدم دول المنطقة وتفتيت كيانها وتمزيق بنيانها ، ذلك أن أي أحد يسمع أن دينًا أو جماعةً تستبيح الذبح والحرق والتنكيل بالبشر؛ لا يسعه إلا أن يكفر بهذه الجماعة وبما تدعيه من دين افتراء على الله تعالى ورسله الكرام وسائر كتبه المنزلة ، وأما من جهة الوطن فهذه الجماعات المارقة لا تؤمن بوطن ولا بدولة وطنية ، بل إنها صُنِعَت لهدم الأوطان ، فالأرض في منظورهم لا تعد عِرْضًا ، ولا تمثل شاغلًا ولا همًّا ، في حين أن الإسلام أوجب الدفاع عن الأوطان ، وافتداءها بكل ما يملك بنوها من نفس ومال .

ومما لا شك فيه أننا في حاجة ماسة إلى تفكيك الفكـر المتطرف والجماعات المتطرفة معًا ، غير أن تفكيك الفكر يأتي في المقدمة ، ذلك أنك قد تفكك جماعة إرهابية أو متطرفة فتخرج عليك جماعة أخرى أعتى وأشد ، فإذا نجحنا في تفكيك الفكر المتطرف وكشف زيفه وزيغه وفساده وإفساده وأباطيله ، فإننا نكون قد أتينا على المشكلة من جذورها.

فيجب أن تقوم استراتيجية المواجهة على محورين أساسيين.

المحور الأول: تفكيك الفكر المتطرف ، ودحض أباطيل المتطرفين ، وتفنيد حججهم ، والعمل على نشر قيم التسامح ، وترسيخ أسس المواطنة المتكافئة ، وترسيخ مشروعية الدولة الوطنية، وحتمية الاصطفاف الوطني للقضاء على الإرهاب والفكر المتطرف .

أما المحور الثاني من استراتيجية المواجهة فيقوم على ثلاث ركائز : الأولى : حسن تدريب وتأهيل العاملين في الحقل

الدعوي من خلال البرامج التدريبية والتأهيلية التي تمكنهم من أداء رسالتهم بكفاءة ومهارة عالية .

أما الركيزة الثانية : فتقوم على تفعيل استراتيجية التواصل المباشر والحوار والإقناع والاقتناع ، من خلال تكثيف الندوات والدروس واللقاءات الحوارية المفتوحة مع طلاب الجامعات، وطلاب المدارس ، والنوادي الرياضية والاجتماعية ، والمصانع، وقصور الثقافة ، مع العمل الجاد والدءوب المستمر لتصحيح المفاهيم المغلوطة والرد على شبهات المتطرفين في النجوع والقرى .

وأما الركيزة الثالثة : فتقوم وتبنى على مشروع فكري ضخم يعمد إلى إعادة نظر شاملة وعامة وغير انتقائية لكل جوانب تراثنا العلمي والفكري ، بما يتناسب مع طبيعة العصر ويراعي مستجداته في ضوء الحفاظ على الثوابت التي لا تقبل ولا نقبل المساس بها ، وفي إطار المقاصد العامة للتشريع .

وفي سبيل ذلك لا بد أن نكشف وأن نعري هذه الجماعات المتطرفة ، وأن نبيّن عمالتها وخيانتها لدينها وأمتها ، وأن نبرز شهادات من استطاعوا الإفلات من جحيم هذه الجماعات الإرهابية الضالة ، وأن ما يعدون به الشباب كذبًا وزورًا من الحياة الرغدة هو محض كذب لا وجود له على أرض الواقع ، فمن يلتحق بهم مصيرهم التفخيخ والتفجير ، وإن فكّر مجرد تفكير في الهروب من جحيم هذه الجماعات كان جزاؤه الذبح أو الحرق أو الموت سحلًا .

كما يجب تفنيد أباطيلهم في استحلال الدماء والأموال والأعراض والحكم على الناس بالكفر حتى يسوغوا لأنفسهم قتلهم واستباحة نسائهم وأموالهم ، وهو ما حذر منه الحق (سبحانه وتعالى) ، حيث يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ الله فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ

مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ الله مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ الله عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}[1].

وكذلك دعوتهم الضالة إلى القتل وسفك الدماء تحت مسمى الجهاد زورًا وبهتانًا وافتراء على الله ورسوله ، مع أن ما يقومون به هو بغي وعدوان لا علاقة له بالجهاد ، وليس من الجهاد مما يدعون إليه في شيء.

إن الجهاد في سبيل الله (عز وجل) أوسع من أن يكون قتالًا ، فهناك جهاد النفس بحملها على الطاعة وكفها عن المعصية ، والتزامها بمكارم الأخلاق من الصدق والأمانة والوفاء بالعهد وسائر الأخلاق الكريمة .

أما الجهـاد الذي هو بمعنى القتـال فإنما شُـرِّع للدفـاع عن

١- النساء : ٩٤.

الوطن ، عن الدول أن تستباح ، وليس لآحاد الناس أو لحزب أو لجماعة أو لفصيل أو لقبيلة إعلان هذا الجهاد ، إنما هو حق لولي الأمر وفق من أناط به دستور كل دولة وأعطاه الحق في إعلان حالة الحرب والسلم ، سواء أعطاه الدستور لرئيس الدولة ، أم لمجلس أمنها القومي ، أم للرئيس بعد أخذ رأي برلمانها ، المهم أن قضية إعلان حالة الحرب ليست ملكًا للأفراد أو الجماعات ، وإلا أصبح الأمر فوضى لا دولة ، وعدنا إلى حياة الجاهلية ، حيث يقول الشاعر[1]:

لا يَصلُحُ الناسُ فَوضى لا سَراةَ لَهَم
وَلا سَـراةَ إِذا جُهّالُهُم سادوا

---

١ - البيت من ديوان أبي الأسود الدؤلي ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ص ٣٨ ، ط: مكتبة النهضة ، بغداد . والسراة : جمع: سري ، وهو: النفيس الشريف، وقيل: السخي ذو المروءة ، وجمع الجمع : سروات. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، مادة : سرى ، جـ ٢ / ص ٣٦٣ .

فما أحوجنا إلى الفكر المستنير ، والفهم الصحيح للدين ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، واسترداد الخطاب الديني ممن حاولوا اختطافه ، وإلى أن نواجه الجهل بالعلم ، والظلمات بالنور ، والباطل بالحق ، والفساد والتخريب بمزيد من البناء والتعمير، وأن نعمل على ترسيخ الولاء للأوطان من جهة ، وترسيخ أسس المواطنة وفقه العيش المشترك على أسس إنسانية خالصة من جهة أخرى ، وأن ندرك أن العالم كله في سفينة واحدة ، ولن يهلك منه أحد دون الآخر ، وأن أي خرق في السفينة يمكن أن يهلك أهلها جميعًا ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ الله وَالْوَاقِعِ فِيهَا ؛ كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا ، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِن الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا،

فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا) [1] .

* * *

١- صحيح البخاري : كتاب الشركة ، باب هَلْ يُقْرَعُ فِي الْقِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ ، حديث رقم : ٢٤٩٣ .

الإنسان متدين بطبعه وفطرته ، ينزع إلى قوة غيبية أو روحية يرى فيها خلاصه ، ويستمد منها جزءًا كبيرًا من قيمه ومبادئه ، يدين لها بولاء ما ، ولا يمكن للإنسان أن ينزع إلى الخواء الروحي لفترة طويلة مهما كانت درجة إلحاده ، وإلا حاصره الاكتئاب والعقد النفسية وإن تمسَّح بمسوح السعادة .

فالتدين - أيا كان اتجاهه - فطرة ، والتدين الصحيح هو الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها ، حيث يقول سبحانه: {فِطْرَتَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}[1]، وفي الحديث القدسي : ".. وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُـمْ عَنْ دِينِهِـمْ ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِـمْ مَا أَحْلَلْتُ

١- الروم : ٣٠ .

لَهُمْ ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْـرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْـزِلْ بِهِ سُلْطَـانًا ..."[1] أي أبعدتهم عنه.

وأي انحراف عن مستوى الدين الصحيح هو انحراف عن طريق النجاة ، وإن كان من خلل في تفكير بعض المحسوبين على تيارات التدين السياسي فإن ذلك لا يمكن أن يؤخذ على أنه خلل في مسار الفكر الديني.

وإذا كنا نبحث عن المسار الصحيح فلابد أن نرجع إلى العلماء المستنيرين من أهل الاختصاص ، وألا نعمم الأحكام على الناس بالانغلاق أو سوء الفهم أو ضعفه أو عدم القدرة على مواكبة العصر ، وإن كنا نستشعر - بل نوقن - أننا في حاجة إلى المزيد من بذل الجهد في التدريب والتطوير والتحديث والعمل على معايشة الواقع ومواكبة العصر.

١- صحيح مسلم ، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا ، بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّار ، حديث رقم : ٢٨٦٥ .

وينبغي ألا نقع في أخطاء العقود الماضية ، فنخلط بين محاربة التطرف ومحاربة التدين ، والنظر إلى المتدينين على أنهم المتطرفون ؛ لأننا إذا ضيقنا على علماء الدين المتخصصين أو أسرفنا في تعميم الأحكام أو الإقصاء من المشهد الثقافي أفسحنا المجال أمام الفكر المتطرف ودعاة التشدد والغلو من خلال تنظيماتهم السرية وإغراءاتهم لاجتذاب الشباب إلى صفوفهم ، مؤكدين أن شعبًا بلا دين هو شعب بلا قيم ، شعب بلا أخلاق، شعب بلا ضمير ، شعب ينزع إلى عالم آخر غير عالم الحضارة والرقي ، وأن الدين هو الغذاء الحقيقي للروح وللأمم وللحياة وللحضارة وللقيم والأخلاق ولإذكاء الضمير الإنساني وللأمان النفسي ، ولتنظيم كثير من حركة حياة الأفراد والمجتمعات في ضوء قواعده العامة ومقاصده الكلية .

إننا في حاجة ألا نقابل شطط بعض الجماعات التي ذهبت إلى أقصى اليمين في التشدد والغلو والتطرف والإرهاب بأن

نذهب إلى شطط مناقض بالذهاب إلى أقصى اليسار من التحلل والتفريط ، يقول الإمام الأوزاعي (رحمه الله): "ما من أمْرٍ أمَرَ الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالي أيهما أصاب: الغلو ، والتقصير"[1]. وقالوا : لكل شيء طرفان ووسط ، فإن أنت أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر ، وإن أنت أمسكت بالوسط استقام لك الطرفان. وقد قيل لِلْحُسَيْن بْن الْفَضْلِ: "إِنَّكَ تُخْرِجُ أَمْثَالَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ مِنَ الْقُرْآنِ فَهَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِ الله" خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا"؟ قَالَ: نَعَمْ. فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ}[2]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ

---

١ – المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، ت ٩٠٢هـ ، تحقيق: محمد عثمان الخشت ، ص ٣٣٢ ، ط : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٥م .

٢– البقرة : ٦٨ .

ذَلِكَ قَوَامًا}[1]، وقوله تعالى: {وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ}[2] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}[3][4].

ولذا فإننا إذا أردنا أن نقضي على التشدد من جذوره فلا بد من أن نقتلع الإلحاد والانحلال من جذورهما أيضًا، وبنفس النسبة والمقدار ، فكل فعل له رد فعل مساوٍ له في القوة ومعاكس له في الاتجاه ، مما يجعلنا نحذر من أن الدعوة إلى الإلحاد المُسَيّس والموجه لهدم مجتمعاتنا وإلى الإباحية أو الخلاعة أو المجون أو العري هي قنابل موقوتة مثل قنابل المتطرفين

---

١ – الفرقان : ٦٧ .

٢– الإسراء : ٢٩ .

٣– الإسراء : ١١٠ .

٤ – الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، جـ٤/ ص ٤٨ ، ط : الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٧٤م .

سواء بسواء ، فأخطاء دعاة الانحلال الموجهة – المقصودة أو غير المقصودة – هي أكبر وقود لتغذية التطرف ؛ حيث توفر للمتطرفين حججًا شكلية لتضليل الشباب وتجنيدهم وإيهامهم بأن مجتمعاتهم لا تريد الدين ، بل تحاربه ؛ مما يسهل لهم عملية استقطابهم وتجنيدهم ، وهذا يتطلب منا اليقظة والفطنة والحذر، والوسطية والاعتدال في كل شئون حياتنا ومناحي تفكيرنا وجوانب ثقافتنا أو تثقيفنا ، وفي فننا وإبداعنا ، إذ لا يمكن لمسار ما أن يغرد منفردًا أو أن يسبح في عالم وحده ، أو أن يعمل في الهواء الطلق بمنأى عن المسارات الأخرى التي لا غنى له عن النظر بعين الاعتبار إليها ، إذا كنا نؤمن بأصول علوم الاجتماع والعمران وبناء الحضارات على أسس راسخة لا أسس واهية .

ولا شك أن قضية الخطاب الديني بصفة عامة صارت تشكل هاجسًا عالميًّا نتيجة أعمال تلك الجماعات الإرهابية

الإجرامية التي تتاجر بالأديان، ونتيجة ما حملته الأديان عبر تاريخها الطويل من مطامع البشر ، وتدثر السياسة لدى البعض بدثار الدين حتى قامت حروب سياسية ترفع رايات الدين وأعلامه لخداع العامة والدهماء وإضفاء ضرب من القداسة على هذه الحروب ، ونتج عن توظيف الخطاب الديني من بعض رجال الدين في أوروبا في العصور الوسطى لتحقيق مكاسب دنيوية وسلطوية أن ثار الناس على سطوة رجال الدين، وطالبوا بفصل الدين عن السياسة وبعلمانية الدولة ؛ لأن ما عانوه من تسلط رجال الدين آنذاك قد فاق حدود البشر في التحمل أو قل في التجاوز والاعتداء، وأخذت قضية الدين تنزوي وتتلاشى في نفوس كثير من الغربيين ، ولولا أن الدين فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها لكانت العواقب أشد وأقسى .

وعندمـــا تاجـرت بعض الجمـاعات وفي مقدمتهـا جمـاعة

الإخوان الإرهابية وما انشق عنها أو انبثق منها أو نسّق معها من جماعات إرهابية تاجرت بالدين، رأينا فكرًا شاذًّا غريبًا على ديننا وأخلاقنا وقيمنا وحضارتنا ، رأينا كذبًا واختلاقًا وافتراءً لا يحتمله عقل ولا بشر ولا مجتمع ، وعادت الجماعة إلى سيرتها الأولى من العنف والقتل والاغتيال وإهلاك الحرث والنسل، وتخريب العامر ، وهدم البنيان، وترويع الآمنين أو استهدافهم ، دون وازع من دين أو ضمير إنساني حي، ثم انبثق عنها وتفرع منها وخرج منها من انضم أو نسق مع داعش، والقاعدة، وجماعات الخذلان، وأعداء بيت المقدس، وجند الشيطان، ممن عاثوا في الأرض فسادًا، واستحلوا ما حرم الله تعالى من ذبح البشر وحرقهم والتنكيل بهم في موجات عنف لا تمت للإنسانية بصلة ، حتى رأينا من يذبح أخاه أو والده بحجة أنهم لا يصلون ، ورأينا من يدهس المواطنين الأبرياء الآمنين ، لا ندري بأي ذنب قتلوا أو دهسوا ؟! وأي دين هذا الذي استباح

دماءهم ؟ وأي مجرم هذا الذي أفتى بجواز ذلك ؟! بل أي إنسان هذا الذي خطط ودبر ونفذ .

إن بعض الشباب قد ينجرون أو يساقون إلى هذه التنظيمات أو ينساقون إليها دون فهم أو وعي وبلا إدراك لطبيعة هذه الجماعات الضالة المضلة المجرمة المخربة المفسدة ، حتى إذا ما دخلوا إليها دخلوا من الباب الذي لا خروج منه ولا رجوع إليه، فإذا ما فكر الملتحق بهذه الجماعات مجرد تفكير في تغيير وجهته عن هذه الجماعات الضالة الآثمة لاقى من العنت والتنكيل أضعاف ما يلقاه أعداء هذه الجماعات ، ليجعلوا منه عبرة لكل من تسول له نفسه الخروج عليها أو الانصراف عنها.

وبدرجة أو بأخرى سعت جماعات كثيرة إلى اختطاف الخطاب الديني من علمائه المدققين وأهله المتخصصين ، وعملت على توظيفه لتحقيق مكاسب حزبية أو شخصية أو أيديولوجية ولو على حساب دينها ووطنها معًا ؛ لأن بعضها لا

يؤمن بوطن ولا بدولة وطنية ، وبعضها ولاؤه لتنظيمه فوق كل ولاء ، وانتماؤه له فوق كل انتماء .

لذا يجب أن نعمل معًا وبكل ما أوتينا من قوة على تحصين نشئنا وشبابنا بالعلم والثقافة ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، ونشر قيم الإسلام السمحة وأخلاقه السامية الإنسانية الراقية.

* * *

دين الرحمة والإنسانية

لقد انسلخت الجماعات المارقة من دينها وإنسانيتها في آن واحد إلى عالم آخر لا نعرفه ، إذ إنها لا تنتمي إلى عالم الأديان ، فالأديان كلها تدعو إلى الرحمة والتسامح ، لا إلى الحرق ، ولا إلى الذبح ، ولا إلى التمثيل ، ولا إلى التنكيل بالبشر ، كما أنه لا يمكن أن يكون هذا عالم الإنسانية ، فالإنسانية السوية لا يمكن أن تقر هذه الجرائم وتلك الفظائع التي لا يمكن أن يحتملها أي حس إنساني سليم إلا من طمست بصيرته وانسلخ من إنسانيته .

وهنا يجدر بنا أن نؤكد أن ديننا براء من كل ذلك ، فقد نهى نبينا (صلى الله عليه وسلم) عن الْمُثَلَة – أي التمثيل بالموتى – ولو بالكلب العقور ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : "ولا تَغُلّوا، ولا تَغْدروا ولا تُمثلوا"[1]، كما نهى (صلى الله عليه

١- صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، بَاب تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ وَغَيْرِهَا ، حديث رقم : ١٧٣١ .

وسلم) عن التعــذيب بالنـار " فَإِنَّهُ لَا يُعَـذِّبُ بِالنَّـارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ"[1]، بل أبعد من هذا وأكثر بيـانًـا لأن الإسلام دين رحمة لا دين عنف ولا قتل ولا تنكيل حتى بالحيوان وهذا ما ذكره نبينا محمد(صلى الله عليه وسلم):"عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا ، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ"[2] ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ الله عَنْهُ) ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):" بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ"[3]، ورأى النبي (صلى الله عليه وسلم)

---

١ - سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار، حديث٢٦٧٣.

٢- متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب المساقاة ، باب فضل سقي الماء ، حديث رقم: ٢٣٦٥ ، وصحيح مسلم، كتاب السلام ، باب تحريم قتل الهرة ، حديث رقم: ٢٢٤٢، واللفظ لمسلم.

٣- صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار ، حديث رقم: ٣٤٦٧.

رجلا يُتْعبُ جمله ، فقال: "أفلا تتقي الله في هذه البهيمةِ التي مَلَّكَكَ الله إياها، فإنه شكا إليَّ أنك تُجِيعُه وتُدْئبه"[1] أي: تتعبه وتشق عليه ، ولما رأى (صلى الله عليه وسلم) حمرة تحوم حول عشها جيئة وذهابًا تبحث عن فراخها قال (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا" [2].

أرأيت إلى هذه الرحمة بالطائر والحيوان فضلًا عن الإنسان ، فأين نحن من هذه الرحمة ، وأين نحن من هذه الإنسانية ، وأين نحن من هذا الرقي؟! إننا لفي حاجة ماسة إلى فهم ديننا فهمًا صحيحًا ، ثم تطبيقه على أرض الواقع تطبيقًا ينم عن حسن فهمنا له ، وإيماننا به ، وحرصنا عليه ، لنواجه الشر بالخير، والهدم بالبناء ، مدركين وموقنين أن أهل الباطل لا يعملون إلا

١- سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب ، حديث رقم: ٢٥٤٩ .

٢- سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب في كراهية حرق العدو بالنار، حديث رقم: ٢٦٧٥.

في غياب أهل الحق ، وأننا إذا أحسنا فهم ديننا وعرضه على الناس عرضًا صحيحًا ، لانقشع الباطل والضلال بفضل الله (عز وجل) ثم بقوة أهل الحق ونصاعة حجتهم ، حيث يقول الحق (سبحانه وتعالى) في كتابه العزيز : { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}[1].

والذي نؤكد عليه أن ثبات أهل الحق على حقهم هو أكبر رادع لأهل الباطل عن باطلهم ، ويجب ألا ينجرف بنا خصمنا إلى الطريق الذي يريده أو ينحرف بنا عن مسارنا الصحيح ، كما يجب أن يزيدنا تمسك أهل الباطل بباطلهم ثباتًا على ثباتنا، ويجعلنا أكثر تمسكًا بقيمنا الراقية من : الرحمة ، والصدق ، والأمانة ، والوفاء ، والشهامة ، والمروءة ، والإنسانية ، فأمة بلا أخلاق ولا قيم ، أمة بلا حياة ، والأمم التي لا تقوم ولا تبنى

١- الأنبياء : ١٨.

على مكارم الأخلاق تحمل عوامل سقوطها وانهيارها في أصل قيامها وأسس بنائها الهش .

* * *

حرمة الدمـــاء

لم يؤكد الإسلام على حرمة شيء تأكيده على حرمة الدماء وعصمتها ، فقد استهل نبينا (صلى الله عليه وسلم) خطبته الجامعة في حجة الوداع بقوله (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، اللهُمَّ بلغت ، اللهم اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ"[١]، وفيها – أيضًا– يقول (صلى الله عليه وسلم):"فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا - أَوْ ضُلَّالًا - يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، اللهُمَّ بلغت ، اللهم اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ"[٢]، وقال (صلى الله عليه وسلم):" لَا يَزَالُ الْمَرْءُ فِي

١- صحيح مسلم ،كتاب الحج ، بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، حديث رقم : ١٢١٨.

٢- المصدر السابق ، الحديث نفسه .

فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا دَامَ لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا"[١]، وعن عَبْد الله بْن عُمَرَ (رضى الله عنهما)، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ ، وَيَقُولُ : " مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ الله حُرْمَةً مِنْكِ مَالِهِ وَدَمِهِ وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا "[٢]، ويقول (صلى الله عليه وسلم) :" لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ"[٣] ، وعن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو (رَضِيَ الله عَنْهُمَا) أن النَّبِيَّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : " مَنْ قَتَلَ مُعَاهَـدًا لَمْ يَـرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَـا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ

١- سنن البيهقي ، كتاب الجراح (الجنايات)، جُمَّاعُ أَبْوَابِ تَحْرِيمِ الْقَتْلِ وَمَنْ يَجِبْ عَلَيْهِ الْقِصَاصُ وَمَنْ لَا قِصَاصَ عَلَيْهِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْقَتْلِ مِنَ السُّنَّةِ، حديث رقم ١٥٨٥٧

٢- سنن ابن ماجه ، أبواب الفتن ، بَاب حُرْمَةِ دَمِ الْمُؤْمِنِ وَمَالِهِ ، حديث ٣٩٣٢ .

٣- سنن الترمذي ، أبواب الديات عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَشْدِيدِ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ ، حديث ١٣٩٥ .

أَرْبَعِينَ عَامًا"[1].

وقد نهى الإسلام عن قتل النفس عمدًا ، أو خطأ ، أو تسرعًا ، فقال الحق سبحانه في كتابه العزيز : " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا"[2].

أما القتل العمد فقد رتب عليه الإسلام ما رتب من الوعيد الشديد ، فقال الحق سبحانه : " وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ

١- صحيح البخاري ، كتاب الجزية ، بَابُ إِثْمِ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ ، حديث رقم ٣١٦٦ .

٢- النساء : ٩٢.

عَذَابًا عَظِيمًا"[1].

كما نهى الإسلام عن التسرع في القتل أو الإسراع إليه أو الخفة فيه ، وضرورة التثبت حتى في الحرب ، فقال سبحانه : "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ الله مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ الله عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا"[2] ،

ولما قتل سيدنا أسامة بْن زَيْدِ بْن حَارِثَةَ (رَضِيَ الله عَنْهُمَا) أحد المشركين في ساحة القتال بعد أن قال الرجل : لا إله إلا الله ، عاتبه النبي (صلى الله عليه وسلم) عتابًا شديدًا ، فعن أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ ، قَالَ : فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ ،

١ – النساء : ٩٣.

٢- النساء : ٩٤ .

قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ ، قَالَ : فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلَّا الله ، قَالَ : فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، قَالَ: فَقَالَ لِي : " يَا أُسَامَةُ ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله"، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا ، قَالَ: "أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله" قَالَ : فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ[1].

وحتى وليّ الدم نُهي عن الإسراف في القتل ، حيث يقول الحق سبحانه : " وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا"[2] ، ويقول سبحانه : " وَإِنْ

١- متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الديات ، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: {وَمَنْ أَحْيَاهَا} [المائدة: ٣٢] ، حديث رقم ٦٨٧٢ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، حديث رقم ٩٦ .

٢- الإسراء : ٣٣ .

عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ"[1].

وردعًا لمن تسول له نفسه الإقدام على الدم الحرام شرع الإسلام القصاص ، فقال سبحانه : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ" [2] ، وجعل النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والسن بالسن ، فقال سبحانه : "وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ

١- النحل : ١٢٦ .

٢- البقرة : ١٧٨ .

يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " [1].

فلا الدين ، ولا الإنسانية ، ولا الأخلاق ، ولا القيم ، ولا الأعراف ، ولا المواثيق الدولية ، ولا القوانين ، تبيح قتل النفس، أو إزهاقها ، أو الاعتداء عليها ، فكل الدماء حرام ، وكل الأعراض مصانة ، وكل الأموال محفوظة .

الجاهلية الحقيقية هي سفك الإنسان لدم أخيه الإنسان بغير حق ، الجاهلية الحقيقة هي الاعتداء على الأعراض والأموال وترويع الأمنين ، وتهديد السلم المجتمعي والسلام الإنساني ، وليس رمي المجتمعات المسلمة بها ظلمًا وزورًا وبهتانًا .

والصحوة الحقيقية هي صحوة الضمير الإنساني ، واحترام الإنسان لأخيه الإنسان بغض النظر عن دينه أو لونه أو جنسه أو عرقه أو لغته ، فلا قتل على المعتقد ، ولا إكراه في الدين ، ولا

١- المائدة : ٤٥ .

على الدين ، تلك هي الصحوة الحقيقية في فهم صحيح الأديان واحترام أدمية الإنسان ، والحفاظ على أسس التعايش السلمي الذي رسخ له ديننا الحنيف ، وسجلته بحروف من نور وثيقة المدينة المنورة عليها وعلى ساكنها (صلى الله عليه وسلم) أطيب تحية وأزكى سلام .

* * *

الوعي وذاكرة الأمم

لا شك أن عملية بناء الوعي أو إعادة بنائه قضية محورية في حياة المجتمعات والأمم والشعوب ، وخاصة تلك الأمم والشعوب التي تعرضت ذاكرتها لمحاولات المحو والشطب ، أو التغيير ، أو التغييب ، ناهيك عن محاولات الاختطاف ، وحالات الجمود والخمول والكسل التي يمكن أن تصيب الذاكرة الجمعية للمجتمعات .

مع يقيننا أن إعادة تشكيل وعي أمة ليست أمرًا سهلاً ولا يسيرًا ، إنما هي عملية بناء شاقة ، وتحتاج إلى جهود مكثفة ، ودءوبة ، ومضنية ، ولا سيما في أوقات الشدائد والمحن والتحديات الجسام ، شأن تلك المرحلة الراهنة الفارقة في تاريخ منطقتنا ، وفي تاريخ العالم كله ، بل في التاريخ الإنساني المعاصر ، حيث صار الإرهاب والتطرف الفكري صناعة

وأدوات غزو واحتلال من نوع جديد ، ووسائل لإفشال الدول، أو إسقاطها ، أو تركيعهـا ، أو السيطرة على قـرارهـا ، بل على مقدراتها ومكتسباتها أيًّا كان نوع هذه المقدرات والمكتسبات : اقتصادية أم سياسية أم جغرافية أم ثقافية أم تراثية .

وإننا على يقين دائم لا يداخله ولا يخالجه أي شك في أن أهل الباطل لا يعملون إلا في غياب أهل الحق ، وأن على أهل الحق ألا يكونوا أقل حماسًا لحقهم وقضاياهم التي يؤمنون بها من حماس أهل الباطل ودعاة الهدم والخراب لباطلهم .

وإذا كان من حاولوا السطو على ذاكرة أمتنا قد استخدموا المغالطات الدينية والفكرية والثقافية والتاريخية للاستيلاء على هذه الذاكرة ، فإن واجبنا مسابقة الزمن لكشف هذه المغالطات وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، وبيان أوجه الحق والصواب

بالحجة والبرهان من خلال نشر الفكر الوسطي المستنير ، في المجال الدعوي والثقافي والتعليمي والتربوي والإعلامي ، وإحلال مناهج الفهم والتفكير والإبداع والابتكار محل مناهج الحفظ والتلقين والتقليد ، مع اعتبار العمل على خلق حالة من الوعي المستنير واسترداد ذاكرة الأمة التي كانت مختطفة أولوية وواجبًا وطنيًّا على العلماء والمفكرين والمثقفين وقادة الرأي والفكر .

ولا يمكن أن نحصر قضية الوعي في بعدها الديني أو الثقافي فحسب ، فالوعي بالوطن يقتضي العمل على بنائه ورفعة شأنه في جميع المجالات : الاقتصادية ، والفكرية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والإنسانية ، وبشتى السبل : بالعمل والإنتاج ، بالجد والاجتهاد ، بالدقة والإتقان ، بالتكافل والتراحم ، بالإخلاص للوطن ، والإخلاص في العمل ، بالعلم والفكر ، بالثقافة والإبداع ، بنشر القيم الإيجابية من الصدق، والأمانة ،

والوفاء ، والرحمة ، والتسامح ، والتيسير ، والمروءة ، والنظافة ، والنظام، واحترام الكبير ، وإكرام الصغير ، وإنصاف المظلوم ، وإكساب المعدوم ، وإغاثة الملهوف ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، وإماطة الأذى عن الطريق ، والحرص على المنشآت العامة والمال العام ، والترفع عن الدنايا ، والبعد عن سائر القيم السلبية : من الكذب ، والخيانة ، والغـدر ، والأذى ، والبطالة ، والكسل ، والفساد ، والإفساد، والتخريب.

إن الوعي بالـوطن يقتضي الإحاطة والإلمـام بمـا يحاك له من مؤامرات تستهـدف إنهـاك الدولة ، وبخطــورة الإرهابيين والعملاء والخونة ، والعمل على تخليص الوطن من شرورهم وآثامهم ، كما يقتضي أيضًا إدراك عمليات البناء والتعمير التي تتم على أيدي أبناء الوطن المخلصين .

ومما لا شك فيه أن قضية الوعي بالوطن وبمشروعية الدولة الوطنية، وضرورة دعم صمودها، والعمل على رقيها وتقدمها،

أحد أهم المرتكزات لصياغة الشخصية السوية ، وأحد أهم دعائم الولاء والانتماء للوطن والحفاظ على مقدراته وكل ذرة من ثراه الندي .

* * *

فهرس الموضوعات